تَقْرِيبُ الإِفَادَةِ

مِنْ كِتَابِ السَّعَادَةِ

وهو عبارة عن اختصار وتهذيب لوجوه فضل العلم

من كتاب "مفتاح دار السعادة" للإمام الحافظ ابن قيم الجوزية

اختصار وتهذيب

أَبِي سُلَيْمَانَ سَلْمَانَ بْنِ صَالِحِ بْنِ حُسَيْنٍ العِمَادِ

اسم الكتاب: تقريب الإفادة من كتاب السعادة

اسم المؤلف: سلمان بن صالح العماد

الطبعة: الأولى

دار النشر:

عدد الصفحات: ٨٦ صفحة حجم الكتاب: ١٤×٢١

تقريب الإفادة من كتاب السعادة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَعَلَ العِلْمَ أَصْلًا لِلْخَيْرَاتِ ، وَعُمْدَةً لِلْمَنَازِلِ العَالِيَاتِ، وَالجَهْلُ مَصْدَرًا لِلشُّرُورِ وَالسَّيِّئَاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَنَبِيُّ الأُمِّيِّينَ ، عَلَّمَهُ اللهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا ، فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

أما بعد:

فَهَذِهِ **"الإِفَادَةُ بِتَهْذِيبِ وَتَلْخِيصِ وُجُوهِ فَضْلِ العِلْمِ مِنْ سَفَرِ "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ"** وَقَد اخْتَصَرتُ العنْوانَ بِقَوْلِي **"تَقْرِيب الإِفَادَةِ مِنْ كِتَابِ السَّعَادَةِ"** أَرَدْتُ بِذَلِكَ تَقْرِيبَ مَا زَبَرَهُ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ **رَحِمَهُ ٱللَّهُ** فِي كِتَابِهِ المَذْكُورِ حَتَّى يَسْهَلَ تَدَاوُلُ هَذِهِ الفَائِدَةِ بَيْنَ طَلَبَةِ العِلْمِ وَالمُحِبِّينَ لَهُ ، وَبَابُ التَّهْذِيبِ بَابٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ.

وَقَدِ اعْتَمَدْتُ عَلَى نُسْخَةُ **"طَبْعَةِ عَطَاءَاتِ العِلْمِ"** وَاسْتَفَدْتُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ حَوَاشِيهَا، بَلْ نَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْهَا فِي مَوَاضِعِهِ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ، **فَلْيُعْلَمْ هَذَا**.

عملي في الكتاب

✍ وَقَدِ انْحَصَرَ عَمَلِي فِيمَا يَلِي:

- حَذْفُ الِاسْتِطْرَادِ الزَّائِدِ فِي الفَقَرَاتِ، وَاكْتَفَيْتُ بِصُلْبِ المَوْضُوعِ.

- حَذْفُ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي لَا تَثْبُتُ، وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا ثَبَتَ.

- تَقْرِيبُ هَذِهِ المَادَّةِ بِوُرَيْقَاتٍ يَسِيرَةٍ بَدَلًا مِنْ كِتَابٍ حَافِلٍ.

- بَدَأْتُ الرِّسَالَةَ بِتَرْجَمَةٍ مُخْتَصَرَةٍ وَتَعْرِيفٍ بِالكِتَابِ الأَصْلِ.

- اعْتَمَدْتُ فِي التَّخْرِيجَاتِ عَلَى حَاشِيَةِ الكِتَابِ، مَعَ زِيَادَةِ فَائِدَةٍ إِنْ وُجِدَتْ، وَتَهْذِيبٍ أَيْضًا.(١)

- مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ فِي العُنْوَانِ مِنَ التَّهْذِيبِ وَالِاخْتِصَارِ هُوَ خُلَاصَةُ مَا فَعَلْتُهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

- لَيْسَ لِي فِي أَصْلِ الكِتَابِ وَمَتْنِهِ شَيْءٌ، فَكُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- جَعَلْتُ لِلتَّرْقِيمِ رَقْمَيْنِ:

رَقْمًا هُوَ الأَصْلُ وَهُوَ المُثْبَتُ كِتَابَةً حَسَبَ تَرْتِيبِ المُصَنِّفِ.

---

(١) وبالنسبة للأحاديث فالأصل أني أرجعُ إلى أصولها وأحيل عليها بأرقامها، وأضيف عليها أحكام المتأخرين إن كانت خارج الصحيحين.

وَرَقْمًا بِجَانِبِهِ عَدَدِيًّا هُوَ بِحَسَبِ تَرْقِيمِ المُخْتَصَرِ وَالمُهَذَّبِ.

وَفَائِدَةُ هَذَا : أَنْ نَعْرِفَ الأَوْجُهَ الَّتِي ثَبَتَتْ عَلَيْهَا الأَدِلَّةُ، وَنَبَّهْتُ عَلَى ذَلِكَ فِي الحَاشِيَةِ، مَعَ حِفَاظِنَا عَلَى تَرْقِيمِ المُصَنِّفِ **رَحِمَهُ ٱللَّهُ** .

ـ الوَجْهُ الثَّلَاثُونَ مُتَدَاخِلٌ مَعَ الحَادِي وَالثَّلَاثِينَ، كَمَا أَشَارَ المُصَنِّفُ فِي الأَصْلِ.

ـ الأَوْجُهُ الَّتِي حَذَفْتُهَا لِعَدَمِ ثُبُوتِ الأَحَادِيثِ أَوِ الآثَارِ تَحْتَهَا هِيَ: (٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٩٢-٩٣-٩٤-١١٠-١١١-١١٩-١٢٠-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٩-١٣٣).

ـ لَقَدْ كَانَ الأَصْلُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أَنْ تَكُونَ فَائِدَةً لِي خَاصَّةً؛ لِذِكْرِهَا فِي مُحَاضَرَةٍ عَامَّةٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ المُنَاسَبَةَ لِإِفْرَادِهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ؛ لِيَنْفَعَ اللهُ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْزِيَ الإِمَامَ ابْنَ القَيِّمِ عَنَّا وَعَنِ المُسْلِمِينَ خَيْرًا ، فَكَمْ اسْتَفَادَ المُسْلِمُونَ وَطَلَبَةُ العِلْمِ مِنْهُمْ بِالأَخَصِّ بَلْ وَالعُلَمَاءُ مِنْ كُتُبِهِ **رَحِمَهُ ٱللَّهُ** وَكَمْ كَانَتْ مَرْجِعًا فِي شَتَّى الفُنُونِ الشَّرْعِيَّةِ لَهُمْ.

ترجمة

وَبَيْنَ يَدَيْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مُقَدِّمَةٌ يَسِيرَةٌ فِيهَا تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلإِمَامِ الحَافِظِ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الَّذِي تَرْجَمَ لِلإِمَامِ ابْنِ القَيِّمِ كَثِيرٌ وَكَثِيرٌ.

وَهُنَا نَنْقُلُ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُهُ فِي الطَّلَبِ الإِمَامُ الحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ فِي كِتَابِهِ "البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ"[1] حَيْثُ قَالَ :

ـ وَفِي لَيْلَةِ الخَمِيسِ ثَالِثَ عَشَرَ رَجَبٍ، وَقْتَ أَذَانِ العِشَاءِ تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الإِمَامُ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ الزُّرَعِيُّ، إِمَامُ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنُ قَيِّمِهَا.

ـ وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنَ الغَدِ بِالجَامِعِ الأُمَوِيِّ.

ـ وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدَتِهِ بِمَقَابِرِ البَابِ الصَّغِيرِ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

ـ وُلِدَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

ـ وَسَمِعَ الحَدِيثَ، وَاشْتَغَلَ بِالعِلْمِ، فَبَرَعَ فِي عُلُومٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لَا سِيَّمَا عِلْمُ التَّفْسِيرِ، وَالحَدِيثِ وَالأَصْلَيْنِ.

---

(١) "البداية والنهاية" (١٨/ ٥٢٣)

ـ وَلَمَّا عَادَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنَ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ لَازَمَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ الشَّيْخُ، فَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا مَعَ مَا سَلَفَ لَهُ مِنَ الِاشْتِغَالِ، فَصَارَ فَرِيدًا فِي بَابِهِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ، مَعَ كَثْرَةِ الطَّلَبِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالِابْتِهَالِ.

ـ وَكَانَ حَسَنَ القِرَاءَةِ وَالخُلُقِ، كَثِيرَ التَّوَدُّدِ، لَا يَحْسُدُ أَحَدًا، وَلَا يُؤْذِيهِ، وَلَا يَسْتَغِيبُهُ، وَلَا يَحْقِدُ عَلَى أَحَدٍ.

ـ وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَبِ النَّاسِ لَهُ، وَأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ فِي زَمَانِنَا أَكْثَرَ عِبَادَةً مِنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ طَرِيقَةٌ فِي الصَّلَاةِ يُطِيلُهَا جِدًّا، وَيَمُدُّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَيَلُومُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ فَلَا يَرْجِعُ،وَلَا يَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ـ وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الكِبَارِ وَالصِّغَارِ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

ـ وَكَتَبَ بِخَطِّهِ الحَسَنِ شَيْئًا كَثِيرًا.

ـ وَاقْتَنَى مِنَ الكُتُبِ مَا لَا يَتَهَيَّأُ لِغَيْرِهِ تَحْصِيلُ عُشْرِهِ مِنْ كُتُبِ السَّلَفِ وَالخَلَفِ.

ـ وَبِالجُمْلَةِ كَانَ قَلِيلَ النَّظِيرِ، بَلْ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي مَجْمُوعِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ، وَالغَالِبُ عَلَيْهِ الخَيْرُ وَالأَخْلَاقُ الصَّالِحَةُ، سَامَحَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ.

ـ وَقَدْ كَانَ مُتَصَدِّيًا لِلإِفْتَاءِ بِمَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ الَّتِي اخْتَارَهَا الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَجَرَتْ لَهُ بِسَبَبِهَا فُصُولٌ يَطُولُ بَسْطُهَا مَعَ قَاضِي القُضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ

وَغَيْرِهِ.

ـ وَقَدْ كَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شَهِدَهَا القُضَاةُ، وَالأَعْيَانُ، وَالصَّالِحُونَ مِنَ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، وَتَزَاحَمَ النَّاسُ عَلَى حَمْلِ نَعْشِهِ.

ـ وَكَمَلَ لَهُ مِنَ العُمْرِ سِتُّونَ سَنَةً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

منزلة مفتاح دار السعادة

مَنْزِلَةُ كِتَابِ مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ بَيْنَ كُتُبِ ابْنِ القَيِّمِ :

تَتَمَيَّزُ جَمِيعُ كُتُبِ ابْنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بِحُسْنِ الأُسْلُوبِ وَقُوَّةِ الطَّرْحِ وَجَوْدَةِ التَّقْسِيمِ وَهِيَ غَزِيرَةُ الفَوَائِدِ.

وَكِتَابُهُ "**مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ**" يُعَدُّ مِنْ أَنْفَسِ كُتُبِهِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ العُلَمَاءُ مِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ :

١ ـ **قَالَ صِدِّيقُ حَسَنِ خَان** (ت: ١٣٠٧): وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ عَزِيزُ المَقَاصِدِ، مَنَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ عَلَيَّ وَأَحْسَنَ إِلَيَّ.اهـ[١]

وَقَالَ أَيْضًا: وَهُوَ كِتَابٌ لَا يُوجَدُ نَظِيرُهُ فِي الإِسْلَامِ.اهـ[٢]

وَكَتَبَ نُعْمَانُ الآلُوسِيُّ (ت: ١٣١٧) عَلَى ظَهْرِ نُسْخَتِهِ مِنَ الكِتَابِ، وَقَدْ أَوْقَفَهَا عَلَى ذُرِّيَّتِهِ: وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ، لَيْسَ لَهُ فِي بَابِهِ مَثِيلٌ.اهـ

وَأَثْنَى المُصَنِّفُ عَلَى كِتَابِهِ، **فَقَالَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي "**مَدَارِجِ السَّالِكِينَ**" (١/ ٩١): وَهُوَ كِتَابٌ بَدِيعٌ فِي مَعْنَاهُ.اهـ

وَأَثْنَى فِي الكِتَابِ عَلَى بَعْضِ مَبَاحِثِهِ ، **وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ**: وَحَسْبُكَ بِهَذَا الفَصْلِ

---

(١) "**أبجد العلوم**"(١/ ٩٧). حاشية مقدمة مفتاح دار السعادة (٤٧)

(٢) "**يقظة أولي الاعتبار**"(٢٢٤). حاشية مقدمة مفتاح دار السعادة (٤٧)

وَعَظِيمِ مَنْفَعَتِهِ مِنْ هَذَا الكِتَابِ. اهـ[١]

وَقَوْلُهُ: فَتَدَبَّرْ هَذَا الفَصْلَ، فَإِنَّهُ مِنَ الكُنُوزِ فِي هَذَا الكِتَابِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ تُثْنَى عَلَيْهِ الخَنَاصِرُ. اهـ[٢]

(١) (ص: ٨٧، ١٢٧، ٢٨٥، ٧٢٧، ٧٨٣، ٧٩٨، ٩٥٢، ٩٥٧، ١١٣٥، ١١٣٩، ١١٤٥، ١٦٠١، ١٦٠٢). حاشية مقدمة مفتاح دار السعادة (٤٧)

(٢) "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" (المقدمة/ ٤٧).

تمهيد

بَدَأَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كِتَابَهُ "**مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورُ وِلَايَةِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ**" بِمُقَدِّمَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا، تَضَمَّنَتْ ذِكْرَ مَا حَصَلَ لِأَبِينَا آدَمَ وَنُزُولَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَذِكْرَ الخِلَافِ فِي مَعْنَى الجَنَّةِ الَّتِي أُهْبِطَ مِنْهَا، وَرَجَّحَ أَنَّهَا جَنَّةُ الخُلْدِ.

وَمِمَّا قَالَهُ:

وَالأَشْهَرُ عِنْدَ الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ الَّذِي لَا يَخْطُرُ بِقُلُوبِهِمْ سِوَاهُ أَنَّهَا جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ.اهـ

وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ سَاقَ الأَدِلَّةَ وَأَقْوَالَ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِيهِ وَحَاوَرَ وَنَاظَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ قَالَ فِي نِهَايَةِ البَحْثِ:

وَالمَقْصُودُ : أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ وَرَحْمَتُهُ إِخْرَاجَ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ مِنَ الجَنَّةِ، أَعَاضَهُمْ أَفْضَلَ مِنْهَا، وَهُوَ مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ عَهْدِهِ الَّذِي جَعَلَهُ سَبَبًا مُوصِلًا لَهُمْ إِلَيْهِ، وَطَرِيقًا وَاضِحًا بَيِّنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، فَمَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ فَازَ وَاهْتَدَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ شَقِيَ وَغَوَى.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا العَهْدُ الكَرِيمُ، وَالصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، وَالنَّبَأُ العَظِيمُ، لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ أَبَدًا إِلَّا مِنْ بَابِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ؛ فَالإِرَادَةُ بَابُ الوُصُولِ إِلَيْهِ،

وَالعِلْمُ مِفْتَاحُ ذَلِكَ البَابِ المُتَوَقِّفِ فَتْحُهُ عَلَيْهِ.

وَكَمَالُ كُلِّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَتِمُّ بِهَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ: هِمَّةٌ تُرَقِّيهِ، وَعِلْمٌ يُبَصِّرُهُ وَيَهْدِيهِ.

فَإِنَّ مَرَاتِبَ السَّعَادَةِ وَالفَلَاحِ إِنَّمَا تَفُوتُ العَبْدَ مِنْ هَاتَيْنِ الجِهَتَيْنِ، أَوْ مِنْ إِحْدَاهُمَا:

- إِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ بِهَا، فَلَا يَتَحَرَّكُ فِي طَلَبِهَا.
- أَوْ يَكُونُ عَالِمًا بِهَا وَلَا تَنْهَضُ هِمَّتُهُ إِلَيْهَا ...

وَلَمَّا كَانَ كَمَالُ الإِرَادَةِ بِحَسَبِ كَمَالِ مُرَادِهَا، وَشَرَفُ العِلْمِ تَابِعٌ لِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، كَانَتْ نِهَايَةُ سَعَادَةِ العَبْدِ الَّتِي لَا سَعَادَةَ لَهُ بِدُونِهَا وَلَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهَا أَنْ تَكُونَ إِرَادَتُهُ مُتَعَلِّقَةً بِالمُرَادِ الَّذِي لَا يَبْلَى وَلَا يَفُوتُ، وَعَزَمَاتُ هِمَّتِهِ مُسَافِرَةً إِلَى حَضْرَةِ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

وَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى هَذَا المَطْلَبِ الأَسْنَى وَالحَظِّ الأَوْفَى إِلَّا بِالعِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَخَلِيلِهِ وَحَبِيبِهِ، الَّذِي بَعَثَهُ لِذَلِكَ دَاعِيًا، وَأَقَامَهُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ هَادِيًا، وَجَعَلَهُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَنَامِ، وَدَاعِيًا لَهُمْ بِإِذْنِهِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَأَبَى سُبْحَانَهُ أَنْ يَفْتَحَ لأَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَعْيًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُبْتَدِئًا مِنْهُ وَمُنْتَهِيًا إِلَيْهِ.

فَالطُّرُقُ كُلُّهَا إِلَّا طَرِيقَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسْدُودَةٌ، وَالقُلُوبُ بِأَسْرِهَا إِلَّا

قُلُوبَ أَتْبَاعِهِ المُنْقَادَةِ إِلَيْهِ عَنِ اللهِ مَحْبُوسَةٌ مَصْدُودَةٌ.اهـ

ثُمَّ قَالَ : فَلَا جَرَمَ كَانَ وَضْعُ هَذَا الكِتَابِ مُؤَسَّسًا عَلَى هَاتَيْنِ القَاعِدَتَيْنِ، وَمَقْصُودُهُ التَّعْرِيفُ بِشَرَفِ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ، وَسَمَّيْتُهُ:"**مِفْتَاحَ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورَ وِلَايَةِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ**" إِذْ كَانَ هَذَا مِنْ بَعْضِ النُّزُلِ وَالتُّحَفِ الَّتِي فَتَحَ اللهُ بِهَا عَلَيَّ حِينَ انْقِطَاعِي إِلَيْهِ عِنْدَ بَيْتِهِ، وَإِلْقَائِي نَفْسِي بِبَابِهِ مِسْكِينًا ذَلِيلًا، وَتَعَرُّضِي لِنَفَحَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَحَوْلِهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَمَا خَابَ مَنْ أَنْزَلَ بِهِ حَوَائِجَهُ، وَعَلَّقَ بِهِ آمَالَهُ، وَأَصْبَحَ بِبَابِهِ مُقِيمًا وَبِحِمَاهُ نَزِيلًا.

وَلَمَّا كَانَ العِلْمُ إِمَامَ الإِرَادَةِ، وَمُقَدَّمًا عَلَيْهَا، وَمُفَصِّلًا لَهَا، وَمُرْشِدًا إِلَيْهَا، قَدَّمْنَا الكَلَامَ عَلَيْهِ عَلَى الكَلَامِ عَلَى المَحَبَّةِ.

❋ فَهَذَا مَضْمُونُ هَذِهِ التُّحْفَةِ، وَهَذِهِ عَرَائِسُ مَعَانِيهَا الآنَ تُجْلَى عَلَيْكَ، وَخُودُ أَبْكَارِهَا البَدِيعَةِ الجَمَالِ تَرْفُلُ فِي حُلَلِهَا وَهِيَ تُزَفُّ إِلَيْكَ.

فَإِمَّا شَمْسٌ مَنَازِلُهَا بِسَعْدِ الأَسْعَدِ[(١)] **وَإِمَّا خَوْدٌ**[(٢)] **تُزَفُّ إِلَى ضَرِيرٍ مُقْعَدِ**

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ إِحْدَى الخُطَّتَيْنِ، وَأَنْزِلْهَا فِيمَا شِئْتَ مِنَ المَنْزِلَتَيْنِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ حَاسِدٍ، وَلِكُلِّ حَقٍّ مِنْ جَاحِدٍ وَمُعَانِدٍ.

---

(١) وهو أحمدُ السُّعود من المنازل. ويقال له: سعد السُّعود. وهو أشهر.

(٢) الخَوْد: الفتاة الشابة الحسنة الخَلْق. وهذا مثلٌ يكثر دورانه في كتب المصنف، وهو شطر بيتٍ للحسين بن الحجاج (ت: ٣٩١)

هَذَا، وَإِنَّ مَا أُودِعَ مِنَ المَعَانِي وَالنَّفَائِسِ رَهْنٌ عِنْدَ مُتَأَمِّلِهِ وَمُطَالِعِهِ، لَهُ غُنْمُهُ وَعَلَى مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ، وَلَهُ ثَمَرَتُهُ وَمَنْفَعَتُهُ وَلِصَاحِبِهِ كَدُّهُ وَمَشَقَّتُهُ، مَعَ تَعَرُّضِهِ لِمَطَاعِنِ الطَّاعِنِينَ، وَلِاعْتِرَاضِ المُنَافِسِينَ، وَعَرْضِهِ بِضَاعَتَهُ المُزْجَاةَ وَعَقْلَهُ المَكْدُودَ عَلَى عُقُولِ العَالَمِينَ، وَإِلْقَائِهِ نَفْسَهُ وَعِرْضَهُ بَيْنَ مَخَالِبِ الحَاسِدِينَ، وَأَنْيَابِ البُغَاةِ المُعْتَدِينَ.

(أَوْجُهُ فَضْلِ الْعِلْمِ) الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أوجه فضل العلم

أوجه فضل العلم [١]

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ : فِي الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ، وَبَيَانِ عُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَتَوَقُّفِ كَمَالِ الْعَبْدِ وَنَجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ عَلَيْهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٨].

اسْتَشْهَدَ سُبْحَانَهُ بِأُولِي الْعِلْمِ عَلَى أَجَلِّ مَشْهُودٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ تَوْحِيدُهُ.

فَقَالَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عِمْرَان : ١٨].

وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه :

[١] أَحَدُهَا:

اسْتِشْهَادُهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ.

---

(١) هذا في الأصل (**المجلد الأول**) من الطبعة المذكورة، يبدأ من صفحة (١٣١ ـ ٥٢١) وذلك يعني كتابا مستقلا نحو أربعمائة صفحة، قربناه واختصرناه في هذه الصفحات اليسيرة، وهي لا تغني عن الأصل، ولكنها الخلاصة والزبدة، ومن أراد طول النفس والوقوف على كنوز المعارف التي أودعها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فليعد على الأصل.

[٢] وَالثَّانِي:

اقْتِرَانُ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ.

[٣] وَالثَّالِثُ:

اقْتِرَانُهَا بِشَهَادَةِ مَلَائِكَتِهِ.

[٤] وَالرَّابِعُ:

أَنَّ فِي ضِمْنِ هَذَا تَزْكِيَتَهُمْ وَتَعْدِيلَهُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَشْهِدُ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا الْعُدُولَ، وَمِنْهُ الْأَثَرُ الْمَعْرُوفُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ؛ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ». (١)

---

(١) هذا الحديث أفرد له المصنف فصلا من هذا الكتاب صفحة (٤٦٣) من هذه الطبعة؛ الجزء الأول.

ذكر له عشر طرق، ولكنها كلها ضعيفة، وكثير منها واهية أحسنها مرسل إبراهيم بن عبد الرحمن، وليس له ما يقويه.

وقد روي الحديث متصلا من رواية جماعة من الصحابة : علي بن أبي طالب وابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر بن سمرة وأبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، وليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور. والله أعلم. أفاده العراقي في "شرح كتاب ابن الصلاح". اهـ رَحِمَهُ اللَّهُ.

والحقيقة : ليس هناك ما يشجعنا على نسبته إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان معناه له وجه

=

[٥] الْخَامِسُ:

أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِكَوْنِهِمْ أُولِي الْعِلْمِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُهُ وَأَصْحَابُهُ، لَيْسَ بِمُسْتَعَارٍ لَهُمْ.

[٦] السَّادِسُ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِنَفْسِهِ ـ وَهُوَ أَجَلُّ شَاهِدٍ ـ، ثُمَّ بِخِيَارِ خَلْقِهِ ـ وَهُمْ مَلَائِكَتُهُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ـ وَيَكْفِي بِهَذَا فَضْلًا وَشَرَفًا.

[٧] السَّابِعُ:

أَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِهِمْ عَلَى أَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ وَأَعْظَمِهِ وَأَكْبَرِهِ، وَهُوَ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَالْعَظِيمُ الْقَدْرِ إِنَّمَا يَسْتَشْهِدُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ أَكَابِرَ الْخَلْقِ وَسَادَاتِهِمْ.

[٨] الثَّامِنُ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ شَهَادَتَهُمْ حُجَّةً عَلَى الْمُنْكِرِينَ، فَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَدِلَّتِهِ وَآيَاتِهِ وَبَرَاهِينِهِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ.

صحيح.

وما روي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه صححه، فحمل على تصحيح معناه. لأنه ليس هناك في طرقه ما يحسنه كما قدمنا.

ولذلك أعله الحافظ والذهبي وابن كثير وجماعة من المتأخرين كالألباني والوادعي رحم الله الجميع.

[٩] التَّاسِعُ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَفْرَدَ الفِعْلَ المُتَضَمِّنَ لِهَذِهِ الشَّهَادَةِ الصَّادِرَةِ مِنْهُ وَمِنْ مَلَائِكَتِهِ وَمِنْهُمْ، وَلَمْ يَعْطِفْ شَهَادَتَهُمْ بِفِعْلٍ آخَرَ غَيْرَ شَهَادَتِهِ؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ ارْتِبَاطِ شَهَادَتِهِمْ بِشَهَادَتِهِ، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ لِنَفْسِهِ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَأَنْطَقَهُمْ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، فَكَانَ هُوَ الشَّاهِدَ بِهَا لِنَفْسِهِ إِقَامَةً وَإِنْطَاقًا وَتَعْلِيمًا، وَهُمُ الشَّاهِدُونَ بِهَا لَهُ إِقْرَارًا وَاعْتِرَافًا وَتَصْدِيقًا وَإِيمَانًا.

[١٠] العَاشِرُ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَهُمْ مُؤَدِّينَ لِحَقِّهِ عِنْدَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ، فَإِذَا أَدَّوْهَا فَقَدْ أَدَّوُا الحَقَّ المَشْهُودَ بِهِ؛ فَثَبَتَ الحَقُّ المَشْهُودُ بِهِ؛ فَوَجَبَ عَلَى الخَلْقِ الإِقْرَارُ بِهِ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ غَايَةُ سَعَادَتِهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ.

وَكُلُّ مَنْ نَالَهُ هُدًى بِشَهَادَتِهِمْ، وَأَقَرَّ بِهَذَا الحَقِّ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِمْ، فَلَهُمْ مِثْلُ أَجْرِهِ.

وَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ لَا يُدْرِكُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ شَهِدَ بِهَا عَنْ شَهَادَتِهِمْ فَلَهُمْ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِهِ أَيْضًا. فَهَذِهِ عَشَرَةُ أَوْجُهٍ فِي هَذِهِ الآيَةِ.

[١١] الوَجْهُ الحَادِي عَشَرَ:

فِي تَفْضِيلِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ، كَمَا

نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ أَصْحَابِ الجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩].

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحَشْر: ٢٠]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ فَضْلِهِمْ وَشَرَفِهِمْ.

[١٢] الوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ أَهْلَ الجَهْلِ بِمَنْزِلَةِ العُمْيَانِ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرَّعْد: ١٩]، فَمَا ثَمَّ إِلَّا عَالِمٌ أَوْ أَعْمَى.

وَقَدْ وَصَفَ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الجَهْلِ بِأَنَّهُمْ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ.

[١٣] الوَجْهُ الثَّالِثَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أُولِي العِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ حَقًّا، وَجَعَلَ هَذَا ثَنَاءً عَلَيْهِمْ وَاسْتِشْهَادًا بِهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سَبَإ: ٦].

[١٤] الوَجْهُ الرَّابِعَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِسُؤَالِهِمْ وَالرُّجُوعِ إِلَى أَقْوَالِهِمْ، وَجَعَلَ ذَلِكَ كَالشَّهَادَةِ مِنْهُمْ.

فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النَّحل : ٤٣]، وَأَهْلُ الذِّكْرِ هُمْ أَهْلُ العِلْمِ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ.

[١٥] الوَجْهُ الخَامِسَ عَشَرَ:

أَنَّهُ شَهِدَ لأَهْلِ العِلْمِ شَهَادَةً فِي ضِمْنِهَا الاسْتِشْهَادُ بِهِمْ عَلَى صِحَّةِ مَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِهِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾ [الأنعام : ١١٤].

[١٦] الوَجْهُ السَّادِسَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ سَلَّى نَبِيَّهُ بِإِيمَانِ أَهْلِ العِلْمِ بِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَعْبَأَ بِالجَاهِلِينَ شَيْئًا.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨﴾ [الإسْرَاء : ١٠٦ - ١٠٨].

وَهَذَا شَرَفٌ عَظِيمٌ لأَهْلِ العِلْمِ، وَتَحْتَهُ أَنَّ أَهْلَهُ العَالِمِينَ قَدْ عَرَفُوهُ وَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوا، فَسَوَاءٌ آمَنَ بِهِ غَيْرُهُمْ أَوْ لَا.

[١٧] الوَجْهُ السَّابِعَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَدَحَ أَهْلَ العِلْمِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَشَرَّفَهُمْ بِأَنْ جَعَلَ كِتَابَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِهِمْ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ وَمَنْقَبَةٌ لَهُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العَنكَبُوت: ٤٧ - ٤٩].

[١٨] الوَجْهُ الثَّامِنَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ مَزِيدَ العِلْمِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، وَكَفَى بِهَذَا شَرَفًا لِلْعِلْمِ أَنْ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْأَلَهُ المَزِيدَ مِنْهُ.

[١٩] الوَجْهُ التَّاسِعَ عَشَرَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ رِفْعَةِ دَرَجَاتِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ خَاصَّةً.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المُجَادلَة : ١١].

[٢٠] الوَجْهُ العِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ اسْتَشْهَدَ بِأَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الكُفَّارِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الرُّوم : ٥٥ - ٥٦].

[٢١] الوَجْهُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ خَشْيَتِهِ، بَلْ خَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بِذَلِكَ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فَاطِر : ٢٨]، وَهَذَا حَصْرٌ لِخَشْيَتِهِ فِي أُولِي العِلْمِ.

[٢٢] الوَجْهُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أَمْثَالِهِ الَّتِي يَضْرِبُهَا لِعِبَادِهِ ـ يَدُلُّهُمْ عَلَى صِحَّةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ ـ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ هُمُ المُنْتَفِعُونَ بِهَا، المُخْتَصُّونَ بِعِلْمِهَا.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العَنكَبُوت : ٤٣].

وَفِي القُرْآنِ بِضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا.

[٢٣] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ مُنَاظَرَةَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ، وَغَلَبَتَهُ لَهُمْ بِالحُجَّةِ، وَأَخْبَرَ عَنْ تَفْضِيلِهِ بِذَلِكَ، وَرَفْعِ دَرَجَتِهِ بِعِلْمِ الحُجَّةِ.

فَقَالَ تَعَالَى ـ عَقِيبَ مُنَاظَرَتِهِ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ ـ : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأَنْعَام : ٨٣].

[٢٤] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الخَلْقَ، وَوَضَعَ بَيْتَهُ الحَرَامَ، وَالشَّهْرَ الحَرَامَ، وَالْهَدْيَ، وَالقَلَائِدَ؛ لِيَعْلَمَ عِبَادُهُ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطَّلَاق : ١٢] ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ عِلْمَ العِبَادِ بِرَبِّهِمْ وَصِفَاتِهِ وَعِبَادَتَهُ وَحْدَهُ هُوَ الغَايَةُ المَطْلُوبَةُ مِنَ الخَلْقِ وَالأَمْرِ.

[٢٥] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ أَهْلَ العِلْمِ بِالفَرَحِ بِمَا آتَاهُمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُ النَّاسُ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يُونُس : ٥٨].

وَفُسِّرَ فَضْلُ اللهِ بِالإِيمَانِ، وَرَحْمَتُهُ بِالقُرْآنِ.

وَالإِيمَانُ وَالقُرْآنُ هُمَا العِلْمُ النَّافِعُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وَهُمَا الهُدَى وَدِينُ الحَقِّ، وَهُمَا أَفْضَلُ عِلْمٍ وَأَفْضَلُ عَمَلٍ.

[٢٦] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ لِمَنْ آتَاهُ العِلْمَ بِأَنَّهُ قَدْ آتَاهُ خَيْرًا كَثِيرًا.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة : ٢٦٩].

[٢٧] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَدَّدَ نِعَمَهُ وَفَضْلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَجَعَلَ مِنْ أَجَلِّهَا أَنْ آتَاهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النِّسَاء : ١١٣].

[٢٨] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَّرَ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِشُكْرِهَا، وَأَنْ يَذْكُرُوهُ

عَلَى إِسْدَائِهَا إِلَيْهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥١ - ١٥٢].

[٢٩] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ:(١)

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ بِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا لَهُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]، قَالَ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٠ - ٣٢]، إِلَى آخِرِ قِصَّةِ آدَمَ وَأَمْرِ المَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ، وَإِبَاءِ إِبْلِيسَ، وَلَعْنِهِ، وَإِخْرَاجِهِ مِنَ السَّمَاءِ.

[٣٠] الوَجْهُ الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ أَهْلَ الجَهْلِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ:

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأَنْعَام: ١١١].

---

(١) الوجه الثلاثون داخل في هذا الوجه كما أشار إليه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وَقَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧﴾ [الأَنعَام : ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفُرقَان : ٤٤] ، فَلَمْ يَقْتَصِرْ سُبْحَانَهُ عَلَى تَشْبِيهِ الجُهَّالِ بِالأَنْعَامِ، حَتَّى جَعَلَهُمْ أَضَلَّ سَبِيلًا مِنْهُمْ.

[٣١] الوَجْهُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ العِلْمَ حَيَاةٌ وَنُورٌ، وَالجَهْلَ مَوْتٌ وَظُلْمَةٌ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ سَبَبُهُ عَدَمُ الحَيَاةِ وَالنُّورِ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ سَبَبُهُ النُّورُ وَالحَيَاةُ.

فَإِنَّ النُّورَ يَكْشِفُ عَنْ حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ، وَيُبَيِّنُ مَرَاتِبَهَا، وَالحَيَاةُ هِيَ المُصَحِّحَةُ لِصِفَاتِ الكَمَالِ، المُوجِبَةُ لِتَسْدِيدِ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأَنعَام : ١٢٢] ، كَانَ مَيْتًا بِالجَهْلِ فَأَحْيَاهُ بِالعِلْمِ، وَجَعَلَ لَهُ مِنَ الإِيمَانِ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ.

[٣٢] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ صَيْدَ الكَلْبِ الجَاهِلِ مَيْتَةً يُحَرَّمُ أَكْلُهَا، وَأَبَاحَ صَيْدَ الكَلْبِ المُعَلَّمِ.

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ شَرَفِ العِلْمِ: أَنَّهُ لَا يُبَاحُ إِلَّا صَيْدُ الكَلْبِ العَالِمِ، وَأَمَّا الكَلْبُ الجَاهِلُ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُ صَيْدِهِ؛ فَدَلَّ عَلَى شَرَفِ العِلْمِ وَفَضْلِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٤﴾ [المَائِدَة : ٤].

وَلَوْلَا مَزِيَّةُ العِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَشَرَفُهُمَا كَانَ صَيْدُ الكَلْبِ المُعَلَّمِ وَالجَاهِلِ سَوَاءً.

[٣٣] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَنَا عَنْ صَفِيِّهِ وَكَلِيمِهِ الَّذِي كَتَبَ لَهُ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ وَكَلَّمَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ، أَنَّهُ رَحَلَ إِلَى رَجُلٍ عَالِمٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَيَزْدَادُ عِلْمًا إِلَى عِلْمِهِ، وَقَالَ لِفَتَاهُ: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝٦٠﴾ [الكَهْف : ٦٠]؛ حِرْصًا مِنْهُ عَلَى لِقَاءِ هَذَا العَالِمِ، وَعَلَى التَّعَلُّمِ مِنْهُ.

فَلَمَّا لَقِيَهُ سَلَكَ مَعَهُ مَسْلَكَ المُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ، وَقَالَ لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكَهْف : ٦٦] ، فَبَدَأَهُ بَعْدَ السَّلَامِ بِالِاسْتِئْذَانِ عَلَى مُتَابَعَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَقَالَ: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكَهْف : ٦٦]، فَلَمْ يَجِئْ مُسْتَمْحِنًا وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَإِنَّمَا جَاءَ مُتَعَلِّمًا مُسْتَزِيدًا عِلْمًا إِلَى عِلْمِهِ.

[٣٤] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾

[التَّوْبَة : ١٢٢]، وَنَدَبَ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ إِلَى التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ ـ وَهُوَ تَعَلُّمُهُ ـ، وَإِنْذَارِ قَوْمِهِمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ـ وَهُوَ التَّعْلِيمُ ـ.

[٣٥] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العَصْر : ١ - ٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ.اهـ(١)

---

(١) هذا الأثر مشهور عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وقد جاء بألفاظ متعددة.

ـ وقد وقفت عليه في "التفسير" المنسوب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير سورة العصر ونصه : قال الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللَّهُ : لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم. "تفسير الإمام الشافعي" (٣/ ١٤٦١)

ـ وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٥٢) بلفظ : لو فكر الناس كلهم في سورة {والعصر} لكفتهم. ثم قال :وهو كما قال.اهـ

ـ وفي كتاب "الاستقامة" (٢/ ٢٥٩) كذلك بنفس اللفظ

ـ وأما ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذكره في أكثر من موضع من كتبه منها :

"رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه" (ص٢٣)، "الكلام على مسألة السماع" (١/ ٣٩٩)، "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" (١/ ١٥٢)، "إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان" (١/ ٣٧ ط عطاءات العلم)، "التبيان في أيمان القرآن" (ص١٣٣) .

وفي هذه المواضع كلها ذكره بنفس اللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

=

[٣٦] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَكَرَ فَضْلَهُ وَمِنَّتَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعِبَادِهِ، بِمَا آتَاهُمْ مِنَ العِلْمِ. فَذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النِّسَاء : ١١٣].

[٣٧] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ أَوَّلَ سُورَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ سُورَةُ القَلَمِ.

- فَذَكَرَ فِيهَا مَا مَنَّ بِهِ عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ تَعْلِيمِهِ مَا لَمْ يَعْلَمْ.
- فَذَكَرَ فِيهَا فَضْلَهُ بِتَعْلِيمِهِ.
- وَتَفْضِيلَهُ الإِنْسَانَ بِمَا عَلَّمَهُ إِيَّاهُ.

وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ التَّعْلِيمِ وَالعِلْمِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ

- وكذلك الحافظ ابن كثير في تفسير سورة العصر ؛"**تفسير ابن كثير**" – (١/ ٣٠٩ ط ابن الجوزي) **بلفظ** : لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم.
- وسمعت شيخنا يحيى **حَفِظَهُ اللهُ** في بعض دروسه يرجح هذا اللفظ .

وكلها متقاربة ، ولعل ما توارد على ذكره شيخ الإسلام وتلميذه أقرب والله أعلم .

وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العَلَق : ١ - ٥].

[٣٨] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّهُ سُبْحَانَهُ سَمَّى الحُجَّةَ العِلْمِيَّةَ سُلْطَانًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُلُّ سُلْطَانٍ فِي القُرْآنِ فَهُوَ حُجَّةٌ. اهـ(١)

وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٨﴾ [يُونُس : ٦٨]، يَعْنِي: مَا عِنْدَكُمْ مِنْ حُجَّةٍ بِمَا قُلْتُمْ، إِنْ هُوَ إِلَّا قَوْلٌ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ.

[٣٩] الوَجْهُ الأَرْبَعُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَصَفَ أَهْلَ النَّارِ بِالجَهْلِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَدَّ عَلَيْهِمْ طُرُقَ العِلْمِ.

فَقَالَ تَعَالَى ـ حِكَايَةً عَنْهُمْ ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [المُلك : ١٠ - ١١].

---

(١) علقه البخاري في "**الصحيح**" وأخرجه سعيد بن منصور في سننه [١٣٢٨] وسنده صحيح.

فَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَعْقِلُونَ. وَالسَّمْعُ وَالعَقْلُ هُمَا أَصْلُ العِلْمِ، وَبِهِمَا يُنَالُ.

[٤٠] الوَجْهُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ:

مَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».(١)

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ فِي دِينِهِ لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا.

[٤١] الوَجْهُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ:

مَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».(٢)

---

(١) "صحيح البخاري" (٧١)، و"صحيح مسلم" (١٠٣٧).

(٢) "صحيح البخاري" (٧٩)، و "صحيح مسلم" (٢٢٨٢).

[٤٢] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ يَهْدِيَ بِكَ اللهُ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».(١)

[٤٣] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».(٢)

[٤٤] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا خَرَّجَا فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».(٣)

---

(١) "صحيح البخاري" (٢٩٤٢)، و "صحيح مسلم" (٢٤٠٦).

(٢) "صحيح مسلم" (٢٦٧٤).

(٣) "صحيح البخاري" (٧٣)، و "صحيح مسلم" (٨١٦).

[٤٥] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ:

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ رَجَاءٍ: حَدَّثَنَا الوَلِيدُ بْنُ جَمِيلٍ: حَدَّثَنَا القَاسِمُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا عَابِدٌ، وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ فِي بَحْرِهِ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».(١)

[٤٦] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في "الكبير" (٨/ ٢٣٣)، وغيرهما بإسنادٍ فيه ضعف. ولأخر الحديث شاهد عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحسن به وقال الألباني صحيح "الترغيب والترهيب" في (١٥) [حسن لغيره]

يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». (١)

[٤٧] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ جَنَاحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ». (٢) (٣).

[٤٨] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ:

مَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، وغيرهم.

وفي إسناده اضطرابٌ، وجهالة. ورُوِيَ من أوجهٍ أخر غير محفوظة. وصححه ابن حبان (٨٨)، وقال ابن حجر في "الفتح" (١/ ١٩٣): له شواهد يتقوى بها.

(٢) قلت: وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ سَاقَ تَضْعِيفًا لِلْحَدِيثِ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي نِهَايَةِ الوَجْهِ هَذَا: وَهَذَا مَعْنَاهُ صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ العَالِمَ يُفْسِدُ عَلَى الشَّيْطَانِ مَا يَسْعَى فِيهِ، وَيَهْدِمُ مَا يَبْنِيهِ، فَكُلَّمَا أَرَادَ إِحْيَاءَ بِدْعَةٍ وَإِمَاتَةَ سُنَّةٍ حَالَ العَالِمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَلَا شَيْءَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْ بَقَاءِ العَالِمِ بَيْنَ ظَهْرَانِي الأُمَّةِ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ زَوَالِهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ إِفْسَادِ الدِّينِ وَإِغْوَاءِ الأُمَّةِ، وَأَمَّا العَابِدُ فَغَايَتُهُ أَنْ يُجَاهِدَهُ لِيَسْلَمَ مِنْهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَهَيْهَاتَ لَهُ ذَلِكَ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه (٢٢٢)، ورَوْحُ بن جناح ضعيف.

وَمُتَعَلِّمٌ». (١)

[٤٩] الوَجْهُ الخَمْسُونَ:

طَلَبُ العِلْمِ مِنَ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّمَا جُعِلَ طَلَبُ العِلْمِ مِنْ سَبِيلِ اللهِ لِأَنَّ بِهِ قِوَامَ الإِسْلَامِ، كَمَا أَنَّ قِوَامَهُ بِالجِهَادِ، فَقِوَامُ الدِّينِ بِالعِلْمِ وَالجِهَادِ.

وَلِهَذَا كَانَ الجِهَادُ نَوْعَيْنِ:

- جِهَادٌ بِاليَدِ وَالسِّنَانِ، وَهَذَا المُشَارِكُ فِيهِ كَثِيرٌ.

- وَجِهَادٌ بِالحُجَّةِ وَالبَيَانِ، وَهَذَا جِهَادُ الخَاصَّةِ مِنْ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ، وَهُوَ جِهَادُ الأَئِمَّةِ، وَهُوَ أَفْضَلُ الجِهَادَيْنِ؛ لِعِظَمِ مَنْفَعَتِهِ، وَشِدَّةِ مُؤْنَتِهِ، وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِ.

[٥٠] الوَجْهُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**» . قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. (٢)

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢) وأخرجه البغويُّ في "**شرح السنة**" (١٤/ ٢٢٩) مرسلًا، وهو أصحُّ.

(٢) "**جامع الترمذي**" (١٩٣٠، ٢٦٤٦).

[٥١] الوَجْهُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِمَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ وَوَعَاهُ وَبَلَّغَهُ بِالنَّضْرَةِ، وَهِيَ البَهْجَةُ وَنَضَارَةُ الوَجْهِ وَتَحْسِينُهُ، فَفِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ». (١)

[٥٢] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِتَبْلِيغِ العِلْمِ عَنْهُ؛ فَفِي "الصَّحِيحِ" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». (٢)

[٥٣] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالخَمْسُونَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّمَ بِالفَضَائِلِ العِلْمِيَّةِ فِي أَعْلَى الوِلَايَاتِ الدِّينِيَّةِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٧)، وابن ماجه (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٣٣١)، وغيرهم بإسنادٍ حسن.

(٢) "صحيح البخاري" (٣٤٦١).

وَأَشْرَفِهَا، وَقَدَّمَ بِالعِلْمِ بِالأَفْضَلِ عَلَى غَيْرِهِ.

فَرَوَى مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" حَدِيثَ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا أَوْ سِنًّا ... »[(١)] وَذَكَرَ الحَدِيثَ.

فَقَدَّمَ فِي الإِمَامَةِ بِفَضِيلَةِ العِلْمِ

[٥٤] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالخَمْسُونَ:

مَا ثَبَتَ فِي "صَحِيحِ البُخَارِيِّ" مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».[(٢)]

[٥٥] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالخَمْسُونَ:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ فِي نُسْخَةِ عَمْرِو ابْنِ الحَارِثِ، عَنْ دَرَّاجٍ، عَنْ أَبِي الهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ المُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ».[(٣)]

---

(١) "صحيح مسلم" (٦٧٣).

(٢) "صحيح البخاري" (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨٦)، وأخرجه ابنُ عدي في "الكامل" (٣/ ١١٤) في ترجمة دَرَّاج ضمن ما قد يُستنكَر من حديثه.

[٥٦] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالخَمْسُونَ:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا».(١)

[٥٧] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالخَمْسُونَ:

مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وَفِقْهٌ فِي الدِّينِ».(٢)

[٥٨] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ:(٣)

أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالقَوْمِ الَّذِينَ يَتَذَاكَرُونَ العِلْمَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْهُ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: حَدَّثَنَا مَرْحُومُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ العَطَّارُ: حَدَّثَنَا أَبُو نَعَامَةَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى المَسْجِدِ فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٧)، وابن ماجه (٤١٦٩)، وغيرهما بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٨٤)، وخلف بن أيوب جهَّله الترمذي، وهو فقيهٌ زاهدٌ معروف، وضعَّفه يحيى بن معين. انظر: "التهذيب" (٣/ ١٤٧).

(٣) الوجه التاسع والخمسون والستون والحادي والستون والثاني والستون حذفت لأن الأدلة تحتها لا تثبت .

إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي؛ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، قَالَ: «مَا يُجْلِسُكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَانَا لِلإِسْلَامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ. قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟» قَالُوا: آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَلِكَ. قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ؛ إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ المَلَائِكَةَ».(١)

[٥٩] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةُ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ؛ فَاللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ.

[٦٠] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ الإِنْسَانَ إِنَّمَا يُمَيَّزُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الحَيَوَانَاتِ بِفَضِيلَةِ العِلْمِ وَالبَيَانِ، وَإِلَّا فَغَيْرُهُ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسِّبَاعِ أَكْثَرُ أَكْلًا مِنْهُ، وَأَقْوَى بَطْشًا، وَأَكْثَرُ جِمَاعًا وَأَوْلَادًا، وَأَطْوَلُ عُمْرًا، وَإِنَّمَا مُيِّزَ عَلَى الدَّوَابِّ وَالحَيَوَانَاتِ بِعِلْمِهِ وَبَيَانِهِ، فَإِذَا عَدِمَ العِلْمَ بَقِيَ مَعَهُ القَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَائِرِ الدَّوَابِّ، وَهِيَ الحَيَوَانِيَّةُ المَحْضَةُ، فَلَا يَبْقَى فِيهِ فَضْلٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ قَدْ يَبْقَى شَرًّا مِنْهُمْ.

---

(١) "جامع الترمذي" (٣٣٧٩). وأخرجه مسلم في "صحيحه" (٢٧٠١)، وابن حبان في "صحيحه" (٨١٣) بالإسناد نفسه.

كَمَا قَالَ تَعَالَى ـ فِي هَذَا الصِّنفِ مِنَ النَّاسِ ـ : ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال : ٢٢] ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الجُهَّالُ، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال : ٢٣] ، أَيْ: لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَحَلٌّ قَابِلٌ لِلْخَيْرِ، وَلَوْ كَانَ مَحَلُّهُمْ قَابِلًا لِلْخَيْرِ ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أَيْ: لَأَفْهَمَهُمْ. فَالسَّمْعُ هَاهُنَا سَمْعُ فَهْمٍ، وَإِلَّا فَسَمْعُ الصَّوْتِ حَاصِلٌ لَهُمْ، وَبِهِ قَامَتْ حُجَّةُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال : ٢١].

[٦١] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ العِلْمَ حَاكِمٌ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ اخْتُلِفَ فِي وُجُودِهِ وَعَدَمِهِ، وَصِحَّتِهِ وَفَسَادِهِ، وَمَنْفَعَتِهِ وَمَضَرَّتِهِ، وَرُجْحَانِهِ وَنُقْصَانِهِ، وَكَمَالِهِ وَنَقْصِهِ، وَمَدْحِهِ وَذَمِّهِ، وَمَرْتَبَتِهِ فِي الخَيْرِ، وَجَوْدَتِهِ وَرَدَاءَتِهِ، وَقُرْبِهِ وَبُعْدِهِ، وَإِفْضَائِهِ إِلَى مَطْلُوبٍ كَذَا وَعَدَمِ إِفْضَائِهِ، وَحُصُولِ المَقْصُودِ بِهِ وَعَدَمِ حُصُولِهِ، إِلَى سَائِرِ جِهَاتِ المَعْلُومَاتِ، فَإِنَّ العِلْمَ حَاكِمٌ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ.

فَإِذَا حَكَمَ العِلْمُ انْقَطَعَ النِّزَاعُ وَوَجَبَ الاتِّبَاعُ.

[٦٢] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ النُّصُوصَ النَّبَوِيَّةَ قَدْ تَوَاتَرَتْ بِأَنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِاللهِ، فَهُوَ رَأْسُ الأَمْرِ، وَالأَعْمَالُ بَعْدَهُ عَلَى مَرَاتِبِهَا وَمَنَازِلِهَا.

[٦٣] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ صِفَاتِ الكَمَالِ كُلَّهَا تَرْجِعُ إِلَى العِلْمِ وَالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ، وَالإِرَادَةُ فَرْعُ العِلْمِ؛ فَإِنَّهَا تَسْتَلْزِمُ الشُّعُورَ بِالمُرَادِ، فَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى العِلْمِ فِي ذَاتِهَا وَحَقِيقَتِهَا.

وَالقُدْرَةُ لَا تُؤَثِّرُ إِلَّا بِوَاسِطَةِ الإِرَادَةِ، وَالعِلْمُ لَا يَفْتَقِرُ فِي تَعَلُّقِهِ بِالمَعْلُومِ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا.

وَأَمَّا القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَفْتَقِرُ فِي تَعَلُّقِهِ بِالمُرَادِ وَالمَقْدُورِ إِلَى العِلْمِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى فَضِيلَتِهِ وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ.

[٦٤] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ:

أَنَّ العِلْمَ أَعَمُّ الصِّفَاتِ تَعَلُّقًا بِمُتَعَلَّقِهِ وَأَوْسَعُهَا؛ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالوَاجِبِ وَالمُمْكِنِ، وَالمُسْتَحِيلِ وَالجَائِزِ، وَالمَوْجُودِ وَالمَعْدُومِ.

فَذَاتُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتُهُ وَأَسْمَاؤُهُ مَعْلُومَةٌ لَهُ، وَيَعْلَمُ العِبَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَهُمُ العَلِيمُ الخَبِيرُ.

[٦٥] الوَجْهُ السَّبْعُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ عَنْ أَهْلِ العِلْمِ بِأَنَّهُ جَعَلَهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِهِ، وَيَأْتَمُّ بِهِمْ مَنْ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السَّجْدَة : ٢٤].

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفُرْقَان : ٧٤] ، أَيْ: أَئِمَّةً يَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ بِالصَّبْرِ وَاليَقِينِ تُنَالُ الإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، وَهِيَ أَرْفَعُ مَرَاتِبِ.

[٦٦] الوَجْهُ الحَادِي وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ حَاجَةَ العِبَادِ إِلَى العِلْمِ ضَرُورِيَّةٌ فَوْقَ حَاجَةِ الجِسْمِ إِلَى الغِذَاءِ؛ لِأَنَّ الجِسْمَ يَحْتَاجُ إِلَى الغِذَاءِ فِي اليَوْمِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.

وَحَاجَةُ الإِنْسَانِ إِلَى العِلْمِ بِعَدِ الأَنْفَاسِ؛ لِأَنَّ كُلَّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ فَهُوَ مُحْتَاجٌ فِيهِ إِلَى أَنْ يَكُونَ مُصَاحِبًا لِلإِيمَانِ أَوْ حُكْمِهِ، فَإِنْ فَارَقَهُ الإِيمَانُ أَوْ حُكْمُهُ فِي نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِ فَقَدْ عَطِبَ وَقَرُبَ هَلَاكُهُ، وَلَيْسَ إِلَى حُصُولِ ذَلِكَ سَبِيلٌ إِلَّا بِالعِلْمِ.

فَالحَاجَةُ إِلَيْهِ فَوْقَ الحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

[٦٧] الوَجْهُ الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ صَاحِبَ العِلْمِ أَقَلُّ تَعَبًا وَعَمَلًا، وَأَكْثَرُ أَجْرًا.

وَاعْتَبِرْ هَذَا بِالشَّاهِدِ؛ فَإِنَّ الصُّنَّاعَ وَالأُجَرَاءَ يُعَانُونَ الأَعْمَالَ الشَّاقَّةَ بِأَنْفُسِهِمْ، وَالأُسْتَاذُ المُعَلِّمُ يَجْلِسُ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ وَيُرِيهِمْ كَيْفِيَّةَ العَمَلِ، وَيَأْخُذُ أَضْعَافَ مَا يَأْخُذُونَهُ.

[٦٨] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ العِلْمَ إِمَامُ العَمَلِ وَقَائِدٌ لَهُ، وَالعَمَلُ تَابِعٌ لَهُ وَمُؤْتَمٌّ بِهِ.

فَكُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ خَلْفَ العِلْمِ مُقْتَدِيًا بِهِ فَهُوَ غَيْرُ نَافِعٍ لِصَاحِبِهِ، بَلْ مَضَرَّةٌ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ. اهـ(١)

[٦٩] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ العَامِلَ بِلَا عِلْمٍ كَالسَّائِرِ بِلَا دَلِيلٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَطَبَ مِثْلِ هَذَا أَقْرَبُ مِنْ سَلَامَتِهِ، وَإِنْ قُدِّرَ سَلَامَتُهُ اتِّفَاقًا نَادِرًا فَهُوَ غَيْرُ مَحْمُودٍ، بَلْ مَذْمُومٌ عِنْدَ العُقَلَاءِ.

[٧٠] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ" عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». (٢)

---

(١) أخرجه أحمد في "الزهد" (٣٠١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٧٠)، والدارمي (٣٠٥)، والبيهقي في "الشعب" (٤/ ٤٣١)، وغيرهم من طرقٍ عن عمر بن عبد العزيز.

(٢) "صحيح مسلم" (٧٧٠)، بلفظ:كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل ....

[٧١] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالسَّبْعُونَ:

ـ أَنَّ فَضِيلَةَ الشَّيْءِ وَشَرَفَهُ يَظْهَرُ تَارَةً مِنْ عُمُومِ مَنْفَعَتِهِ.

ـ وَتَارَةً مِنْ شِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ وَعَدَمِ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ.

ـ وَتَارَةً مِنْ ظُهُورِ النَّقْصِ وَالشَّرِّ بِفَقْدِهِ.

ـ وَتَارَةً مِنْ حُصُولِ اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ وَالبَهْجَةِ بِوُجُودِهِ ـ لِكَوْنِهِ مَحْبُوبًا مُلَائِمًا، فَإِدْرَاكُهُ يُعْقِبُ غَايَةَ اللَّذَّةِ ـ.

ـ وَتَارَةً مِنْ كَمَالِ الثَّمَرَةِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَيْهِ، وَشَرَفِ عِلَّتِهِ الغَائِيَّةِ.

[٧٢] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالسَّبْعُونَ:

وَهُوَ أَنَّ شَرَفَ العِلْمِ تَابِعٌ لِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَلِوُثُوقِ النَّفْسِ بِأَدِلَّةِ وُجُودِهِ وَبَرَاهِينِهِ، وَلِشِدَّةِ الحَاجَةِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَعِظَمِ النَّفْعِ بِهَا.

[٧٣] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَطْيَبُ لِلْعَبْدِ وَلَا أَلَذُّ وَلَا أَهْنَأُ وَلَا أَنْعَمُ لِقَلْبِهِ وَعَيْشِهِ مِنْ مَحَبَّةِ فَاطِرِهِ وَبَارِيهِ، وَدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَالسَّعْيِ فِي مَرْضَاتِهِ.

[٧٤] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالسَّبْعُونَ:

أَنَّ اللَّذَّةَ بِالمَحْبُوبِ تَضْعُفُ وَتَقْوَى بِحَسَبِ قُوَّةِ الحُبِّ وَضَعْفِهِ.

فَكُلَّمَا كَانَ الحُبُّ أَقْوَى كَانَتِ اللَّذَّةُ أَعْظَمَ، وَلِهَذَا تَعْظُمُ لَذَّةُ الظَّمْآنِ بِشُرْبِ

المَاءِ البَارِدِ بِحَسَبِ شِدَّةِ طَلَبِهِ لِلمَاءِ، وَكَذَلِكَ الجَائِعُ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا كَانَتْ لَذَّتُهُ عَلَى قَدْرِ حُبِّهِ إِيَّاهُ، وَالحُبُّ تَابِعٌ لِلْعِلْمِ بِالمَحْبُوبِ وَمَعْرِفَةِ جَمَالِهِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ.

فَلَذَّةُ النَّظَرِ إِلَى اللهِ بَعْدَ لِقَائِهِ بِحَسَبِ قُوَّةِ حُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ العِلْمِ بِهِ وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ.

[٧٥] الوَجْهُ الثَّمَانُونَ:

أَنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللهِ مُفْتَقِرٌ إِلَى العِلْمِ لَا قِوَامَ لَهُ بِدُونِهِ؛ فَإِنَّ الوُجُودَ وُجُودَانِ: وُجُودُ الخَلْقِ، وَوُجُودُ الأَمْرِ.

[٧٦] الوَجْهُ الحَادِي وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ فَضِيلَةَ الشَّيْءِ تُعْرَفُ بِضِدِّهِ.

فَـالضِّدُّ يُظْهِرُ حُـسْنَـهُ الـضِّـدُّ(١)

---

(١) عجزُ بيتٍ، صدرُه:

ضِدَّان لما استجمعا حَسُنَا

من القصيدة الفائقة المشهورة بـ"**اليتيمة**". وفي نسبتها تنازعٌ وخلافٌ كثير، وغَلَبَ عليها شاعران: أبو الشِّيص الخزاعي، وهي في "**ديوانه**" (١٣٦)، وعلي بن جبلة العكوَّك، وهي في شِعره المجموع (١١٦). ونُشِرَت مفردة.

وَبِـضِدِّهَـا تَتَبَـيَّـنُ الأَشْـيَـاءُ[١]

✍ وَلَا رَيْبَ أَنَّ الجَهْلَ أَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ، وَكُلُّ ضَرٍ يَلْحَقُ العَبْدَ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ فَهُوَ نَتِيجَةُ الجَهْلِ.

[٧٧] الوَجْهُ الثَّانِي وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَاوَتَ بَيْنَ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ أَعْظَمَ تَفَاوُتٍ يَكُونُ بَيْنَ المَخْلُوقِينَ، فَلَا يُعْرَفُ اثْنَانِ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ بَيْنَهُمَا مِنَ التَّفَاوُتِ مَا بَيْنَ خَيْرِ البَشَرِ وَشَرِّهِمْ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ المَلَائِكَةَ عُقُولًا بِلَا شَهَوَاتٍ، وَخَلَقَ الحَيَوَانَاتِ ذَوَاتِ شَهَوَاتٍ بِلَا عُقُولٍ، وَخَلَقَ الإِنْسَانَ مُرَكَّبًا مِنْ عَقْلٍ وَشَهْوَةٍ.

✍ فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ كَانَ خَيْرًا مِنَ المَلَائِكَةِ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ كَانَ شَرًّا مِنَ الحَيَوَانَاتِ.

[٧٨] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ أَشْرَفَ مَا فِي الإِنْسَانِ مَحَلُّ العِلْمِ مِنْهُ، وَهُوَ قَلْبُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ.

وَلَمَّا كَانَ القَلْبُ هُوَ مَحَلَّ العِلْمِ، وَالسَّمْعُ رَسُولَهُ الَّذِي يَأْتِيهِ بِهِ، وَالعَيْنُ طَلِيعَتَهُ؛ كَانَ مَلِكًا عَلَى سَائِرِ الأَعْضَاءِ، يَأْمُرُهَا فَتَأْتَمِرُ لِأَمْرِهِ، وَيَصْرِفُهَا فَتَنْقَادُ لَهُ طَائِعَةً، بِمَا

---

(١) عجزُ بيتٍ للمتنبي في ديوانه (١١٧). وصدرُه: **ونَذِيمهم وبهم عرفنا فضله**

خُصَّ بِهِ مِنَ العِلْمِ دُونَهَا، فَلِذَلِكَ كَانَ مَلِكَهَا وَالمُطَاعَ فِيهَا.

[٧٩] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فِي القُرْآنِ يُعَدِّدُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ أَنْ أَعْطَاهُمْ آلَاتِ العِلْمِ، فَيَذْكُرُ الفُؤَادَ وَالسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ، وَمَرَّةً يَذْكُرُ اللِّسَانَ الَّذِي يُتَرْجِمُ عَنِ القَلْبِ.

[٨٠] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ أَنْوَاعَ السَّعَادَاتِ الَّتِي تُؤْثِرُهَا النُّفُوسُ ثَلَاثَةٌ:

ـ **سَعَادَةٌ** خَارِجِيَّةٌ عَنْ ذَاتِ الإِنْسَانِ، بَلْ هِيَ مُسْتَعَارَةٌ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ، تَزُولُ بِاسْتِرْدَادِ العَارِيَّةِ، وَهِيَ سَعَادَةُ المَالِ وَالجَاهِ وَتَوَابِعِهِمَا، فَبَيْنَا المَرْءُ بِهَا سَعِيدٌ مَلْحُوظٌ بِالعِنَايَةِ مَرْمُوقٌ بِالأَبْصَارِ، إِذْ أَصْبَحَ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بِقَاعٍ يُشَجِّجُ رَأْسَهُ بِالفِهْرِ وَاجِي.

ـ **السَّعَادَةُ الثَّانِيَةُ**: سَعَادَةٌ فِي جِسْمِهِ وَبَدَنِهِ؛ كَصِحَّتِهِ وَاعْتِدَالِ مِزَاجِهِ، وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهِ، وَحُسْنِ تَرْكِيبِهِ، وَصَفَاءِ لَوْنِهِ، وَقُوَّةِ أَعْصَابِهِ

ـ **السَّعَادَةُ الثَّالِثَةُ**: هِيَ السَّعَادَةُ الحَقِيقِيَّةُ، وَهِيَ سَعَادَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ قَلْبِيَّةٌ، وَهِيَ سَعَادَةُ العِلْمِ النَّافِعِ وَثَمَرَتِهِ؛ فَإِنَّهَا هِيَ البَاقِيَةُ عَلَى تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ وَالمُصَاحِبَةُ لِلْعَبْدِ فِي جَمِيعِ أَسْفَارِهِ، وَفِي دُورِهِ الثَّلَاثَةِ ـ أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ البَرْزَخِ، وَدَارَ القَرَارِ ـ، وَبِهَا يَتَرَقَّى فِي مَعَارِجِ الفَضْلِ وَدَرَجَاتِ الكَمَالِ.

أَمَّا الأُولَى : فَإِنَّمَا تَصْحَبُهُ فِي البُقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مَالُهُ وَجَاهُهُ.

وَالثَّانِيَةُ : فَعُرْضَةٌ لِلزَّوَالِ وَالتَّبَدُّلِ بِنَكْسِ الخَلْقِ وَالرَّدِّ إِلَى الضَّعْفِ.

فَلَا سَعَادَةَ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا هَذِهِ الثَّالِثَةُ، الَّتِي كُلَّمَا طَالَ عَلَيْهَا الأَمَدُ ازْدَادَتْ قُوَّةً وَعُلُوًّا، وَإِذَا عُدِمَ المَالُ وَالجَاهُ فَهِيَ مَالُ العَبْدِ وَجَاهُهُ، وَتَظْهَرُ قُوَّتُهَا وَأَثَرُهَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ البَدَنِ إِذَا انْقَطَعَتِ السَّعَادَتَانِ الأُولَيَانِ

[٨١] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ المَوْجُودَاتِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا كَمَالًا يَخْتَصُّ بِهِ هُوَ غَايَةُ شَرَفِهِ، فَإِذَا عَدِمَ كَمَالَهُ انْتَقَلَ إِلَى الرُّتْبَةِ الَّتِي دُونَهُ وَاسْتُعْمِلَ فِيهَا، فَكَانَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهَا كَمَالَ أَمْثَالِهِ، فَإِذَا عَدِمَ تِلْكَ أَيْضًا نُقِلَ إِلَى مَا دُونَهَا، وَلَا يُعَطَّلُ، وَهَكَذَا أَبَدًا، حَتَّى إِذَا عَدِمَ كُلَّ فَضِيلَةٍ صَارَ كَالشَّوْكِ وَكَالحَطَبِ الَّذِي لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْوُقُودِ.

[٨٢] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ القَلْبَ يَعْتَرِضُهُ مَرَضَانِ يَتَوَارَدَانِ عَلَيْهِ، إِذَا اسْتَحْكَمَا فِيهِ كَانَ هَلَاكُهُ وَمَوْتُهُ، وَهُمَا:

- مَرَضُ الشَّهَوَاتِ.
- وَمَرَضُ الشُّبُهَاتِ. **وَهَذَانِ أَصْلُ دَاءِ الخَلْقِ إِلَّا مَنْ عَافَاهُ اللهُ.**

أَمَّا مَرَضُ الشُّبُهَاتِ : وَهُوَ أَصْعَبُهُمَا وَأَقْتَلُهُمَا لِلْقَلْبِ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ

المُنَافِقِينَ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البَقَرَة: ١٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المُدَّثِّر: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحَج: ٥٣].

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ، المُرَادُ بِمَرَضِ القَلْبِ فِيهَا مَرَضُ الجَهْلِ وَالشُّبْهَةِ.

ـ وَأَمَّا مَرَضُ الشَّهْوَةِ، فَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأَحْزَاب: ٣٢]، أَيْ: لَا تَلِنَّ بِالكَلَامِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ فُجُورٌ وَزِنًا.

وَلِهَذَا سَمَّى اللهُ تَعَالَى كِتَابَهُ شِفَاءً لِأَمْرَاضِ الصُّدُورِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يُونُس: ٥٧].

وَبِالجُمْلَةِ؛ فَالعِلْمُ لِلْقَلْبِ مِثْلُ المَاءِ لِلسَّمَكِ، إِذَا فَقَدَهُ مَاتَ.

فَنِسْبَةُ العِلْمِ إِلَى القَلْبِ كَنِسْبَةِ ضَوْءِ العَيْنِ إِلَيْهَا، وَكَنِسْبَةِ سَمْعِ الأُذُنِ إِلَيْهَا، وَكَنِسْبَةِ كَلَامِ اللِّسَانِ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا عَدِمَهُ كَانَ كَالعَيْنِ العَمْيَاءِ، وَالأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَاللِّسَانِ الأَخْرَسِ.

[٨٣] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بِحِكْمَتِهِ سَلَّطَ عَلَى العَبْدِ عَدُوًّا عَالِمًا بِطُرُقِ هَلَاكِهِ وَأَسْبَابِ الشَّرِّ الَّذِي يُلْقِيهِ فِيهِ، مُتَفَنِّنًا فِيهَا، خَبِيرًا بِهَا، حَرِيصًا عَلَيْهَا، لَا يَفْتُرُ عَنْهُ يَقَظَةً وَلَا مَنَامًا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْ سِتٍّ يَنَالُهَا مِنْهُ.

ـ أَحَدُهَا ـ وَهِيَ غَايَةُ مُرَادِهِ مِنْهُ ـ: أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، فَيُلْقِيَهُ فِي الكُفْرِ. فَإِذَا ظَفِرَ بِذَلِكَ فَرَغَ مِنْهُ وَاسْتَرَاحَ.

ـ فَإِنْ فَاتَتْهُ هَذِهِ وَهُدِيَ لِلْإِسْلَامِ حَرِصَ عَلَى تِلْوِ الكُفْرِ، وَهِيَ البِدْعَةُ، وَهِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ المَعْصِيَةِ.

فَإِنَّ المَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا وَالبِدْعَةُ لَا يُتَابُ مِنْهَا؛ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَرَى أَنَّهُ عَلَى هُدًى.

فَإِذَا ظَفِرَ مِنْهُ بِهَذِهِ صَيَّرَهُ مِنْ دُعَاتِهِ وَأُمَرَائِهِ.

ـ فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ أَلْقَاهُ فِي الثَّالِثَةِ، وَهِيَ الكَبَائِرُ.

ـ فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ أَلْقَاهُ فِي اللَّمَمِ، وَهِيَ الرَّابِعَةُ، وَهِيَ الصَّغَائِرُ.

ـ فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ شَغَلَهُ بِالعَمَلِ المَفْضُولِ عَمَّا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ، لِيَرْبَحَ عَلَيْهِ الفَضْلَ الَّذِي بَيْنَهُمَا؛ وَهِيَ الخَامِسَةُ.

ـ فَإِنْ أَعْجَزَهُ ذَلِكَ صَارَ إِلَى السَّادِسَةِ، وَهِيَ تَسْلِيطُ حِزْبِهِ عَلَيْهِ يُؤْذُونَهُ وَيَشْتِمُونَهُ وَيَبْهَتُونَهُ وَيَرْمُونَهُ بِالعَظَائِمِ؛ لِيَحْزُنَهُ وَيَشْغَلَ قَلْبَهُ عَنِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ وَسَائِرِ

أَعْمَالِهِ.

فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْهُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِهَذِهِ الأُمُورِ، وَلَا بِعَدُوِّهِ، وَلَا بِمَا يُحَصِّنُهُ

[٨٤] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ:

أَنَّ أَعْظَمَ الأَسْبَابِ الَّتِي يُحْرَمُ بِهَا العَبْدُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَذَّةَ النَّعِيمِ فِي الدَّارَيْنِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ عَدُوُّهُ مِنْهَا، هُوَ:

ـ الغَفْلَةُ المُضَادَّةُ لِلْعِلْمِ.

ـ وَالكَسَلُ المُضَادُّ لِلْإِرَادَةِ وَالعَزِيمَةِ.

هَذَانِ أَصْلُ بَلَاءِ العَبْدِ وَحِرْمَانِهِ مَنَازِلَ السُّعَدَاءِ، وَهُمَا مِنْ عَدَمِ العِلْمِ.

[٨٥] الوَجْهُ التِّسْعُونَ:

أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ مَدَحَ اللهُ بِهَا العَبْدَ فِي القُرْآنِ فَهِيَ ثَمَرَةُ العِلْمِ وَنَتِيجَتُهُ، وَكُلَّ ذَمٍّ ذَمَّهُ فَهُوَ ثَمَرَةُ الجَهْلِ وَنَتِيجَتُهُ.

[٨٦] الوَجْهُ الحَادِي وَالتِّسْعُونَ:

حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**حِلَقُ**

الذِّكْرِ»[١] «فَإِنَّ للهِ سَيَّارَاتٍ مِنَ المَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ».[٢]

[٨٧] **الوَجْهُ الخَامِسُ وَالمِئَةُ:**[٣]

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَرْفَعُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً مَنْ كَانَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَهُمُ الرُّسُلُ وَالعُلَمَاءُ.اهـ[٤]

[٨٨] **الوَجْهُ السَّادِسُ وَالمِئَةُ:**

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مَا عُبِدَ اللهُ بِمِثْلِ الفِقْهِ.اهـ[٥]

وَهَذَا الكَلَامُ وَنَحْوُهُ يُرَادُ بِهِ: أَنَّهُ مَا يُعْبَدُ اللهُ بِمِثْلِ أَنْ يُتَعَبَّدَ بِالفِقْهِ فِي الدِّينِ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٨١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضا (٣٨١٩) وجاء عن عدد من الصحابة وكلها لا تثبت أسانيدها وخرجه الألباني في "**الصحيحة**" برقم (٢٥٦٢) وقد كان ذكره في الضعيفة برقم (١١٥٠) ثم نقله إلى الصحيحة لما ساق له من الشواهد .

(٢) وهذا الجزء الأخير هو في "**صحيح مسلم**" (٢٦٨٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

(٣) من الوجه الثاني والتسعين إلى الوجه الرابع والمائة حذف لعدم ثبوت الأثار والأحاديث فيها

(٤) أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ١٤٨).

(٥) أخرجه الخطيب في "**الفقيه والمتفقه**" (١/ ١١٩)، والبيهقي في "**المدخل إلى السنن**" (٤٦٧)، كلاهما من طريق معمر في "**الجامع**" (١١/ ٢٥٦).

فَيَكُونُ نَفْسُ التَّفَقُّهِ عِبَادَةً.

[٨٩] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالمِئَةُ:

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التَّسْتُرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مَنْ أَرَادَ النَّظَرَ إِلَى مَجَالِسِ الأَنْبِيَاءِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَجَالِسِ العُلَمَاءِ.اهـ(١)

وَهَذَا لِأَنَّ العُلَمَاءَ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ فِي أُمَمِهِمْ، وَوَارِثُوهُمْ فِي عِلْمِهِمْ، فَمَجَالِسُهُمْ مَجَالِسُ خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ.

[٩٠] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالمِئَةُ:

أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَئِمَّةِ صَرَّحُوا بِأَنَّ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ بَعْدَ الفَرَائِضِ طَلَبُ العِلْمِ.

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ.اهـ(٢)

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ أَصْحَابُهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَذْهَبُهُ. اهـ

[٩١] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالمِئَةُ:

مَا ذَكَرَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

---

(١) أخرجه الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/ ١٤٩).

(٢) نسبه إلى الشافعي وسفيان الثوريِّ النوويُ كما في "المجموع شرح المهذب"

«فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العَمَلِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ». اهـ [١]

[٩٢] الوَجْهُ الثَّانِي عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ: [٢]

قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠١]: هِيَ العِلْمُ وَالعِبَادَةُ، ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البَقَرَة: ٢٠١]: هِيَ الجَنَّةُ. اهـ [٣]

وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ التَّفْسِيرِ؛ فَإِنَّ أَجَلَّ حَسَنَاتِ الدُّنْيَا العِلْمُ النَّافِعُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ.

[٩٣] الوَجْهُ الثَّالِثُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَرَفْعُهُ هَلَاكُ العُلَمَاءِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَوَدَّنَّ رِجَالٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ شُهَدَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللهُ عُلَمَاءَ؛ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ كَرَامَتِهِمْ، وَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُولَدْ عَالِمًا، وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ. اهـ [٤]

---

(١) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٢/ ٢١١ - ٢١٢)، والبزار (٢٩٦٩)، وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الوجه العشر والحادي عشر بعد المائة حذف لعدم ثبوت الأدلة تحتها.

(٣) أخرجه الطبري في "التفسير" (٤/ ٢٠٥)، وابن عبد البر في "الجامع" (١/ ٢٢٩)، وغيرهما. والآيتان في سورة البقرة: ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) أخرج صدرَه معمرُ في "الجامع" (١١/ ٢٥٢) ـ ومن طريقه الطبراني في "الكبير" (٩/ ١٧٠)، والبيهقي في "المدخل" (٣٨٧) ـ، وغيره.

[٩٤] الوَجْهُ الرَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَبَعْدَهُمَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: تَذَاكُرُ العِلْمِ بَعْضَ لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ إِحْيَائِهَا. اهـ(١)

[٩٥] الوَجْهُ الخَامِسُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ؛ فَإِنَّ للهِ سُبْحَانَهُ رِدَاءً يُحِبُّهُ، فَمَنْ طَلَبَ بَابًا مِنَ العِلْمِ رَدَّاهُ اللهُ بِرِدَائِهِ، فَإِنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا اسْتَعْتَبَهُ؛ لِئَلَّا يَسْلُبَهُ رِدَاءَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ بِهِ. اهـ(٢)

[٩٦] الوَجْهُ السَّادِسُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَوْتُ أَلْفِ عَابِدٍ أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عَالِمٍ بَصِيرٍ بِحَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ. اهـ(٣)

---

(١) أخرجه معمر في "الجامع" (١١/ ٢٥٣)، والدارمي (٦١٤) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وإسنادُ الأول صحيح. وقولُ أبي هريرة تقدم تخريجه (ص: ١٨٦). وقولُ أحمد في "مسائل إسحاق بن منصور الكوسج" (٣٣٠٩)، ومن طريقه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١/ ١١٨).

(٢) علَّقه ابن عبد البر في "الجامع" (١/ ٢٥٣)، وعزاه الزبيديُّ في "إتحاف السادة المتقين" (١/ ١٤٠) إلى "مناقب عمر" للإسماعيلي والذهبي.

(٣) علَّقه ابن عبد البر في "الجامع" (١/ ١٢٨).

[٩٧] الوَجْهُ السَّابِعُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَوْلُ بَعْضِ السَّلَفِ: إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ اليَوْمِ.اهـ

وَقَدْ رُفِعَ هَذَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفْعُهُ إِلَيْهِ بَاطِلٌ

[٩٨] الوَجْهُ الثَّامِنُ عَشَرَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:الإِيمَانُ عُرْيَانٌ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى، وَزِينَتُهُ الحَيَاءُ، وَثَمَرَتُهُ العِلْمُ.اهـ(١)

وَقَدْ رُفِعَ هَذَا أَيْضًا، وَرَفْعُهُ بَاطِلٌ.

[٩٩] الوَجْهُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ بَعْدَ المِئَةِ:(٢)

قَوْلُ ابْنِ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ سُئِلَ: مَنِ النَّاسُ؟ قَالَ: العُلَمَاءُ، قِيلَ: فَمَنِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "**المصنف**" (١٣/ ٥١٠)، وابن أبي الدنيا (٩٧)، والخرائطي (٢٧٣) كلاهما في "**مكارم الأخلاق**"، واللالكائي في "**السنة**" (١٥٧١)، وابن عساكر في "**تاريخ دمشق**" (٦٣/ ٣٨٩) عن وهب بن منبه. ...

وأخرجه ابن أبي الدنيا (١٠٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الوجه التاسع عشر والعشرون بعد المائة حذفا لعدم ثبوت ما تحتهما من الأدلة .

المُلُوكُ؟ قَالَ: الزُّهَّادُ، قِيلَ: فَمَنِ السِّفْلَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَأْكُلُ بِدِينِهِ.اهـ(١)

[١٠٠] الوَجْهُ الثَّانِي وَالعِشْرُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ العِلْمَ لَمْ يَضُرَّهُ مَا فَاتَهُ بَعْدَ إِدْرَاكِهِ؛ إِذْ هُوَ أَفْضَلُ الحُظُوظِ وَالعَطَايَا.

وَمَنْ فَاتَهُ العِلْمُ لَمْ يَنْفَعْهُ مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الحُظُوظِ، بَلْ يَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ وَسَبَبًا لِهَلَاكِهِ.

وَفِي هَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَيَّ شَيْءٍ أَدْرَكَ مَنْ فَاتَهُ العِلْمُ؟! وَأَيَّ شَيْءٍ فَاتَ مَنْ أَدْرَكَ العِلْمَ؟!.اهـ(٢)

[١٠١] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَالَ بَعْضُ العَارِفِينَ: أَلَيْسَ المَرِيضُ إِذَا مُنِعَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالدَّوَاءَ يَمُوتُ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَكَذَلِكَ القَلْبُ إِذَا مُنِعَ عَنْهُ العِلْمُ وَالحِكْمَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَمُوتُ.اهـ

وَصَدَقَ؛ فَإِنَّ العِلْمَ طَعَامُ القَلْبِ وَشَرَابُهُ وَدَوَاؤُهُ، وَحَيَاتُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه البيهقي في "الشعب" (١٢/ ٢٦٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٨/ ١٦٨)، والخطيب في "تاريخ بغداد" (٧/ ١٩٢)، وغيرهم.

(٢) نُسِبَ لعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "شرح النهج" (٢٠/ ٢٨٩)، ولأرسطاطاليس في "إرشاد الأريب" (٢٢)، ولبزرجمهر في "المحاسن والمساوئ" (٣).

[١٠٢] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ بَعْدَ المِئَةِ:[١]

مَا رَوَاهُ أَيْضًا فِي "صَحِيحِهِ" مِنْ حَدِيثِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْتَهَوْا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي حَلْقَةٍ، فَأَعْرَضَ أَحَدُهُمْ، وَاسْتَحَى الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَجَلَسَ الثَّالِثُ فِي فُرْجَةٍ فِي الحَلْقَةِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَحَدُهُمْ فَآوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ».[٢]

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِطَالِبِ العِلْمِ إِلَّا أَنَّ اللهَ يُؤْوِيهِ إِلَيْهِ، وَلَا يُعْرِضُ عَنْهُ، لَكَفَى بِهِ فَضْلًا.

[١٠٣] الوَجْهُ التِّسْعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:[٣]

وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصِّلَت : ٣٣].

قَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ : هُوَ المُؤْمِنُ؛ أَجَابَ اللهَ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ؛ فَهَذَا حَبِيبُ اللهِ، هَذَا وَلِيُّ

---

(١) من الوجه الرابع والعشرين بعد المائة إلى السابع والعشرين بعد المائة محذوفة لعدم ثبوت ما تحتها من الأدلة .

(٢) البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الوجه التاسع والعشرون بعد المائة محذوف لعدم ثبوت الأدلة تحته .

اللهِ.اهـ(١)

[١٠٤] الوَجْهُ الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَوَائِدِ العِلْمِ إِلَّا أَنَّهُ يُثْمِرُ اليَقِينَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ حَيَاةِ القَلْبِ، وَبِهِ طُمَأْنِينَتُهُ وَقُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ وَسَائِرُ لَوَازِمِ الحَيَاةِ لَكَفَاهُ شَرَفًا وَفَضْلًا.

وَلِهَذَا مَدَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البَقَرَة: ٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝١١٨﴾ [البَقَرَة: ١١٨].

وَقَوْلِهِ فِي حَقِّ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأَنْعَام: ٧٥].

وَذَمَّ مَنْ لَا يَقِينَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾ [النَّمْل: ٨٢].

[١٠٥] الوَجْهُ الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

مَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ فِي "مُسْنَدِهِ" مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢١/ ٤٦٨).

يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». اهـ[١]

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي سَنَدِهِ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَقَدْ ضُعِّفَ، فَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ.

فَإِنَّ الإِيمَانَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَهُوَ مَاهِيَّةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ عِلْمٍ وَعَمَلٍ، فَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ الإِيمَانِ إِلَّا بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ.

ثُمَّ شَرَائِعُ الإِسْلَامِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَدَاؤُهَا إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهَا وَالعِلْمِ بِهَا، وَاللهُ تَعَالَى أَخْرَجَ عِبَادَهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، فَطَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.

وَهَلْ تُمْكِنُ عِبَادَةُ اللهِ الَّتِي هِيَ حَقُّهُ عَلَى العِبَادِ كُلِّهِمْ إِلَّا بِالعِلْمِ؟! وَهَلْ يُنَالُ العِلْمُ إِلَّا بِطَلَبِهِ؟!

[١٠٦] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:[٢]

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ الجَامِعَةِ لِمَحَبَّتِهِ وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ،

---

(١) حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم» روي عن جمع من الصحابة، من طرق كثيرة، أوصلها السيوطي، إلى خمسين طريقًا. في جزء له (مطبوع).
وعلى الرغم من كثرة هذه الطرق فقد ضعفه بعض العلماء، كالإمام أحمد، وإسحاق بن راهويه، والبيهقي، وابن عبد البر وغيرهم.
لكن حسنه بعضهم، كالمزي، والسيوطي. بل إن الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ذهب إلى تصحيحه والله أعلم.

(٢) الوجه الثالث والثلاثون بعد المائة محذوف لعدم ثبوت الدليل تحته.

المُسْتَلْزِمَةِ لِمَعْرِفَتِهِ، وَنَصَبَ لِلْعِبَادِ عَلَمًا لَا كَمَالَ لَهُمْ إِلَّا بِهِ؛ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ حَرَكَاتُهُمْ كُلُّهَا وَاقِعَةً عَلَى وَفْقِ مَرْضَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَلِذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ.

فَكَمَالُ العَبْدِ الَّذِي لَا كَمَالَ لَهُ إِلَّا بِهِ أَنْ تَكُونَ حَرَكَاتُهُ مُوَافِقَةً لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ مِنْهُ وَيَرْضَاهُ لَهُ.

[١٠٧] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ العُلَمَاءَ وُكَلَاءَ وَأُمَنَاءَ عَلَى دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَارْتَضَاهُمْ لِحِفْظِهِ وَالقِيَامِ بِهِ وَالذَّبِّ عَنْهُ، وَنَاهِيكَ بِهَا مَنْزِلَةً شَرِيفَةً وَمَنْقَبَةً عَظِيمَةً.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩﴾ [الأَنْعَام: ٨٨ - ٨٩].

[١٠٨] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

وَهُوَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ،

وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ». (١)

[١٠٩] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ بَقَاءَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فِي بَقَاءِ العِلْمِ، وَبِذَهَابِ العِلْمِ تَذْهَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ.

فَقِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ بِالعِلْمِ.

قَالَ الأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ، وَالعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ العِلْمِ ثَبَاتُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَذَهَابُ العِلْمِ ذَهَابُ ذَلِكَ كُلِّهِ. اهـ (٢)

[١١٠] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ العِلْمَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مَا لَا يَرْفَعُهُ المُلْكُ وَلَا المَالُ وَلَا غَيْرُهُمَا، فَالعِلْمُ يَزِيدُ الشَّرِيفَ شَرَفًا، وَيَرْفَعُ العَبْدَ المَمْلُوكَ حَتَّى يُجْلِسَهُ مَجَالِسَ

---

(١) ساق طرقه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصل الكتاب " **مفتاح دار السعادة**" وخلص إلى تصحيحه ، وقيل للإمام أحمد كأنه كلام موضوع، قال: لا هو صحيح. "**الجامع لعلوم** الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ – **علل الحديث**" (١٤/ ٨٠) وجميع طرقه ضعيفة .

وقد قدمنا مجمل الكلام عليه قبل في حاشية الوجه الرابع، وذكرنا هناك الخلاصة.

(٢) أخرجه الدارمي (٩٦)، واللالكائي في "**السنة**" (١٣٦)، وأبو نعيم في "**الحلية**" (٣/ ٣٦٩)، وغيرهم.

المُلُوكِ، كَمَا ثَبَتَ فِي "الصَّحِيحِ".(١)

[١١١] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ النُّفُوسَ الجَاهِلَةَ الَّتِي لَا عِلْمَ عِنْدَهَا قَدْ أُلْبِسَتْ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَالإِزْرَاءُ عَلَيْهَا وَالتَّنَقُّصُ بِهَا أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهَا.

وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ الخَاصِّ وَالعَامِّ.

[١١٢] الوَجْهُ الأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ بِضَاعَةٍ سِوَى العِلْمِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ غَيْرَ بِضَاعَتِهِ خَيْرٌ مِنْهَا زَهِدَ فِي بِضَاعَتِهِ وَرَغِبَ فِي الأُخْرَى وَوَدَّ أَنَّهَا لَهُ عِوَضَ بِضَاعَتِهِ، إِلَّا صَاحِبَ بِضَاعَةِ العِلْمِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْهَا خَطَرًا أَصْلًا .

[١١٣] الوَجْهُ الحَادِي وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَجْزِي المُحْسِنِينَ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَجْزِي عَلَى الإِحْسَانِ بِالعِلْمِ؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الجَزَاءِ.

أَمَّا المَقَامُ الأَوَّلُ؛ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) "صحيح مسلم" (٨١٧).

هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ [الزُّمَر: ٣٣ - ٣٥]، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ الجَزَاءَيْنِ الدُّنْيَوِيَّ وَالأُخْرَوِيَّ.

وَأَمَّا المَقَامُ الثَّانِي؛ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ [يُوسُف: ٢٢].

[١١٤] الوَجْهُ الثَّانِي وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ العِلْمَ لِلْقُلُوبِ كَالمَطَرِ لِلْأَرْضِ، فَكَمَا أَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْأَرْضِ إِلَّا بِالمَطَرِ، فَكَذَلِكَ لَا حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلَّا بِالعِلْمِ.

وَلِهَذَا، الأَرْضُ إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى المَطَرِ فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ، فَإِذَا تَتَابَعَ عَلَيْهَا احْتَاجَتْ إِلَى انْقِطَاعِهِ.

وَأَمَّا العِلْمُ فَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ القَلْبُ بِعَدِ الأَنْفَاسِ، وَلَا يَزِيدُهُ كَثْرَتُهُ إِلَّا صَلَاحًا وَنَفْعًا.

[١١٥] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَخْلَاقِ الَّتِي لَا تُحْمَدُ فِي الشَّخْصِ، بَلْ يُذَمُّ عَلَيْهَا، تُحْمَدُ فِي طَلَبِ العِلْمِ؛ كَالمَلَقِ، وَتَرْكِ الِاسْتِحْيَاءِ، وَالذُّلِّ، وَالتَّرَدُّدِ إِلَى أَبْوَابِ العُلَمَاءِ، وَنَحْوِهَا.

[١١٦] الوَجْهُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

ـ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ العَالِمِ وَغَيْرِهِ.

ـ كَمَا نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ.

ـ وَبَيْنَ الأَعْمَى وَالبَصِيرِ.

ـ وَبَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ.

ـ وَبَيْنَ الظِّلِّ وَالحَرُورِ.

ـ وَبَيْنَ أَصْحَابِ الجَنَّةِ وَأَصْحَابِ النَّارِ.

ـ وَبَيْنَ الأَبْكَمِ العَاجِزِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

ـ وَبَيْنَ المُؤْمِنِينَ وَالكُفَّارِ.

ـ وَبَيْنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ.

ـ وَبَيْنَ المُتَّقِينَ وَالفُجَّارِ.

فَهَذِهِ عَشَرَةُ مَوَاضِعَ فِي القُرْآنِ نَفَى فِيهَا التَّسْوِيَةَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الأَصْنَافِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْزِلَةَ العَالِمِ مِنَ الجَاهِلِ كَمَنْزِلَةِ النُّورِ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَالظِّلِّ مِنَ الحَرُورِ، وَالطَّيِّبِ مِنَ الخَبِيثِ، وَمَنْزِلَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الأَصْنَافِ مَعَ مُقَابِلِهِ.

وَهَذَا كَافٍ فِي شَرَفِ العِلْمِ وَأَهْلِهِ.

بَلْ إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذِهِ الأَصْنَافَ كُلَّهَا وَجَدْتَ نَفْيَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَهَا رَاجِعًا إِلَى العِلْمِ

وَمُوجَبِهِ؛ فَبِهِ وَقَعَ التَّفْضِيلُ وَانْتَفَتِ المُسَاوَاةُ.

[١١٧] الوَجْهُ الخَامِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمَّا تَوَاعَدَ الهُدْهُدَ بِأَنْ يُعَذِّبَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ يَذْبَحَهُ، إِنَّمَا نَجَا مِنْهُ بِالعِلْمِ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ فِي خِطَابِهِ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النَّمل: ٢٢].

وَهَذَا الخِطَابُ إِنَّمَا جَرَّأَهُ عَلَيْهِ العِلْمُ، وَإِلَّا فَالهُدْهُدُ مَعَ ضَعْفِهِ لَا يَتَمَكَّنُ فِي خِطَابِهِ لِسُلَيْمَانَ مَعَ قُوَّتِهِ بِمِثْلِ هَذَا الخِطَابِ لَوْلَا سُلْطَانُ العِلْمِ.

[١١٨] الوَجْهُ السَّادِسُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ مَنْ نَالَ شَيْئًا مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَهُ بِالعِلْمِ.

- **وَتَأَمَّلْ مَا حَصَلَ لِآدَمَ** مِنْ تَمْيِيزِهِ عَلَى المَلَائِكَةِ وَاعْتِرَافِهِمْ لَهُ بِتَعْلِيمِ اللهِ لَهُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، ثُمَّ مَا حَصَلَ لَهُ مِنْ تَدَارُكِ المُصِيبَةِ وَالتَّعْوِيضِ عَنْ سُكْنَى الجَنَّةِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا بِعِلْمِ الكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا مِنْ رَبِّهِ.

- **وَمَا حَصَلَ لِيُوسُفَ** مِنَ التَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ وَالعِزَّةِ وَالعَظَمَةِ بِعِلْمِهِ بِعِبَارَةِ تِلْكَ الرُّؤْيَا، ثُمَّ عِلْمِهِ بِوُجُوهِ اسْتِخْرَاجِ أَخِيهِ مِنْ إِخْوَتِهِ بِمَا يُقِرُّونَ بِهِ وَيَحْكُمُونَ هُمْ بِهِ، حَتَّى آلَ الأَمْرُ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ مِنَ العِزِّ وَالعَاقِبَةِ الحَمِيدَةِ وَكَمَالِ الحَالِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بِالعِلْمِ.

كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ

عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يُوسُف : ٧٦] ، جَاءَ فِي تَفْسِيرِهَا: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} بِالعِلْمِ، كَمَا رَفَعْنَا دَرَجَةَ يُوسُفَ عَلَى إِخْوَتِهِ بِالعِلْمِ.

ـ وَقَالَ ـ فِي إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأَنْعَام : ٨٣].

فَهَذِهِ رِفْعَةٌ بِعِلْمِ الحُجَّةِ، وَالأُولَى رِفْعَةٌ بِعِلْمِ السِّيَاسَةِ.

ـ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبَبِ عِلْمِهِ مِنْ تَلْمَذَةِ كَلِيمِ الرَّحْمَنِ لَهُ، وَتَلَطُّفِهِ مَعَهُ فِي السُّؤَالِ، حَتَّى قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكَهْف : ٦٦].

ـ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِلْمِ مَنْطِقِ الطَّيْرِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مُلْكِ سَبَأَ، وَقَهَرَ مَلِكَتَهُمْ، وَاحْتَوَى عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهَا، وَدُخُولِهَا تَحْتَ طَاعَتِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النَّمْل : ١٦].

ـ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِدَاوُدَ مِنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلْمِ نَسْجِ الدُّرُوعِ مِنَ الوِقَايَةِ مِنْ سِلَاحِ الأَعْدَاءِ، وَعَدَّدَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِهَذَا العِلْمِ عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأَنبِيَاء : ٨٠].

ـ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِلمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِلْمِ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ وَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مَا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ إِلَيْهِ وَفَضَّلَهُ وَكَرَّمَهُ.

ـ وَكَذَلِكَ مَا حَصَلَ لِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ العِلْمِ الَّذِي ذَكَّرَهُ اللهُ بِهِ نِعَمَهُ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٣].

[١١٩] الوَجْهُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَثْنَى عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ﴾ [النَّحل: ١٢٠ - ١٢١].

[١٢٠] الوَجْهُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ المَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مَرْيَم: ٣٠ - ٣١].

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قَالَ: مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ. اهـ[1]

فَبَرَكَةُ كِتَابِهِ وَرَسُولِهِ هِيَ سَبَبُ مَا يَحْصُلُ بِهِمَا مِنَ العِلْمِ وَالهُدَى وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ.

[١٢١] الوَجْهُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

---

(١) أخرجه الطبري (١٨/ ١٩١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي "الصَّحِيحِ". (١)

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ عَلَى شَرَفِ العِلْمِ وَفَضْلِهِ وَعِظَمِ ثَمَرَتِهِ؛ فَإِنَّ ثَوَابَهُ يَصِلُ إِلَى الرَّجُلِ بَعْدَ مَوْتِهِ مَا دَامَ يُنْتَفَعُ بِهِ، فَكَأَنَّهُ حَيٌّ لَمْ يَنْقَطِعْ عَمَلُهُ، مَعَ مَا لَهُ مِنْ حَيَاةِ الذِّكْرِ وَالثَّنَاءِ.

فَجَرَيَانُ أَجْرِهِ عَلَيْهِ إِذَا انْقَطَعَ عَنِ النَّاسِ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ حَيَاةٌ ثَانِيَةٌ.

[١٢٢] الوَجْهُ الخَمْسُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دَاوُدَ، (٢) قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ عَزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى العُلَمَاءَ عَنِ الحِسَابِ، فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ، إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا لِخَيْرٍ أَرَدْتُهُ بِكُمْ. اهـ (٣)

[١٢٣] الوَجْهُ الحَادِي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

أَنَّ العَالِمَ المُشْتَغِلَ بِالعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ لَا يَزَالُ فِي عِبَادَةٍ، فَنَفْسُ تَعَلُّمِهِ وَتَعْلِيمِهِ عِبَادَةٌ.

---

(١) "صحيح مسلم" (١٦٣١).

(٢) الخُرَيبي الهمداني، الحافظ الزاهد (ت: ٢١٣). "السير" (٩/ ٣٤٦).

(٣) في "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٢١٤).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَزَالُ الفَقِيهُ يُصَلِّي. قَالُوا: وَكَيْفَ يُصَلِّي؟ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ. ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ.(١)

[١٢٤] الوَجْهُ الثَّانِي وَالخَمْسُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

مَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ:

ـ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِي مَالِهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَحْسَنِ المَنَازِلِ عِنْدَ اللهِ.

ـ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ.

ـ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ، وَلَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَسْوَأِ المَنَازِلِ عِنْدَ اللهِ.

ـ وَرَجُلٍ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ؛ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، وَهُمَا فِي الوِزْرِ سَوَاءٌ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ؛ صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ وَغَيْرُهُمَا.(٢)

---

(١) في "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٢٣٣) معلَّقًا.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٣١) والترمذي (٢٤٧٨) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في "صحيح الترغيب والترهيب" (١/ ١٠٩) (١٦) ـ: صحيح لغيره.

فَقَسَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الدُّنْيَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

ـ خَيْرُهُمْ مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا وَمَالًا؛ فَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَى النَّاسِ وَإِلَى نَفْسِهِ بِعِلْمِهِ وَمَالِهِ.

ـ وَيَلِيهِ فِي المَرْتَبَةِ مَنْ أُوتِيَ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتَ مَالًا، وَإِنْ كَانَ أَجْرُهُمَا سَوَاءً فَذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالنِّيَّةِ، وَإِلَّا فَالمُنْفِقُ المُتَصَدِّقُ فَوْقَهُ بِدَرَجَةِ الإِنْفَاقِ وَالصَّدَقَةِ، وَالعَالِمُ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ إِنَّمَا سَاوَاهُ فِي الأَجْرِ بِالنِّيَّةِ الجَازِمَةِ المُقْتَرِنِ بِهَا مَقْدُورُهَا، وَهُوَ القَوْلُ المُجَرَّدُ.

ـ الثَّالِثُ: مَنْ أُوتِيَ مَالًا وَلَمْ يَصْرِفْهُ فِي مَصَارِفِ الخَيْرِ، وَلَمْ يُؤْتَ عِلْمًا؛ فَهَذَا أَسْوَأُ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ؛ لِأَنَّ مَالَهُ طَرِيقٌ إِلَى هَلَاكِهِ، فَلَوْ عَدِمَهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ مَا يَتَزَوَّدُ بِهِ إِلَى الجَنَّةِ فَجَعَلَهُ زَادًا لَهُ إِلَى النَّارِ.

ـ الرَّابِعُ: مَنْ لَمْ يُؤْتَ مَالًا وَلَا عِلْمًا، وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ مَالٌ لَعَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ؛ فَهَذَا يَلِي الغَنِيَّ الجَاهِلَ فِي المَرْتَبَةِ وَيُسَاوِيهِ فِي الوِزْرِ بِنِيَّتِهِ الجَازِمَةِ المُقْتَرِنِ بِهَا مَقْدُورُهَا، وَهُوَ القَوْلُ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ.

فَقَسَّمَ السُّعَدَاءَ قِسْمَيْنِ، وَجَعَلَ العِلْمَ وَالعَمَلَ بِمُوجَبِهِ سَبَبَ سَعَادَتِهِمَا، وَقَسَّمَ الأَشْقِيَاءَ قِسْمَيْنِ، وَجَعَلَ الجَهْلَ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ سَبَبَ شَقَاوَتِهِمَا.

فَعَادَتِ السَّعَادَةُ بِجُمْلَتِهَا إِلَى العِلْمِ وَمُوجَبِهِ، وَالشَّقَاوَةُ بِجُمْلَتِهَا إِلَى الجَهْلِ وَثَمَرَتِهِ.

[١٢٥] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالخَمْسُونَ بَعْدَ المِئَةِ:

مَا ثَبَتَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً. (١)

۞ **ثُمَّ سَاقَ عَدًا مِنَ الآثَارِ عَنِ السَّلَفِ فِي التَّفَكُّرِ .**

انْتَهَى المُرَادُ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَكَانَ هَذَا التَّهْذِيبُ مَعَ الِاسْتِفَادَةِ مِنْ بَعْضِ التَّعْلِيقَاتِ مِنْ طَبْعَةِ عَطَاءَاتِ العِلْمِ.

وَلِمَنْ أَحَبَّ الرُّجُوعَ إِلَى الأَصْلِ فَهَذَا المَرْجِعُ **"مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورُ وِلَايَةِ العِلْمِ وَالإِرَادَةِ"** (١/ ١٣١ - ٥٢١)

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في **"العظمة"** (٤٣)، ـ ومن طريقه ابن الجوزي في **"الموضوعات"** (١٦٢٧) ـ من حديث أبي هريرة مرفوعًا بإسنادٍ شديد الضعف. وانظر: **"السلسة الضعيفة"** (١٧٣).

✍ يَلِيهِ تَهْذِيبُ (فَضْلِ العِلْمِ عَلَى المَالِ) مِنَ الكِتَابِ نَفْسِهِ.

فضل العلم على المال

فضل العلم على المال

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وَفَضْلُ العِلْمِ عَلَى المَالِ يُعْلَمُ مِنْ وُجُوهٍ:

[١] أَحَدُهَا:

أَنَّ العِلْمَ مِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ، وَالمَالُ مِيرَاثُ المُلُوكِ وَالأَغْنِيَاءِ.

[٢] الثَّانِي:

أَنَّ العِلْمَ يَحْرُسُ صَاحِبَهُ، وَصَاحِبُ المَالِ يَحْرُسُ مَالَهُ.

[٣] وَالثَّالِثُ:

أَنَّ المَالَ تُذْهِبُهُ النَّفَقَاتُ، وَالعِلْمُ يَزْكُو عَلَى النَّفَقَةِ.

[٤] الرَّابِعُ:

أَنَّ صَاحِبَ المَالِ إِذَا مَاتَ فَارَقَهُ مَالُهُ، وَالعِلْمُ يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ.

[٥] الخَامِسُ:

أَنَّ العِلْمَ حَاكِمٌ عَلَى المَالِ، وَالمَالُ لَا يَحْكُمُ عَلَى العِلْمِ.

[٦] السَّادِسُ:

أَنَّ المَالَ يَحْصُلُ لِلمُؤْمِنِ وَالكافِرِ وَالبَرِّ وَالفَاجِرِ، وَالعِلْمُ النَّافِعُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا

لِلمُؤْمِنِ.

[٧] السَّابِعُ:

أَنَّ العَالِمَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ المُلُوكُ فَمَنْ دُونَهُمْ، وَصَاحِبُ المَالِ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ العُدْمِ وَالفَاقَةِ.

[٨] الثَّامِنُ:

أَنَّ النَّفْسَ تَشْرُفُ وَتَزْكُو بِجَمْعِ العِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، وَذَلِكَ مِنْ كَمَالِهَا وَشَرَفِهَا، وَالمَالُ لَا يُزَكِّيهَا وَلَا يُكَمِّلُهَا وَلَا يَزِيدُهَا صِفَةَ كَمَالٍ.

بَلِ النَّفْسُ تَنْقُصُ وَتَشِحُّ وَتَبْخَلُ بِجَمْعِهِ وَالحِرْصِ عَلَيْهِ؛ فَحِرْصُهَا عَلَى العِلْمِ عَيْنُ كَمَالِهَا، وَحِرْصُهَا عَلَى المَالِ عَيْنُ نَقْصِهَا.

[٩] التَّاسِعُ:

أَنَّ المَالَ يَدْعُوهَا إِلَى الطُّغْيَانِ وَالفَخْرِ وَالخُيَلَاءِ، وَالعِلْمُ يَدْعُوهَا إِلَى التَّوَاضُعِ وَالقِيَامِ بِالعُبُودِيَّةِ؛ فَالمَالُ يَدْعُوهَا إِلَى صِفَاتِ المُلُوكِ وَالعِلْمُ يَدْعُوهَا إِلَى صِفَاتِ العَبِيدِ.

[١٠] العَاشِرُ:

أَنَّ العِلْمَ حَاجِبٌ مُوصِلٌ لَهَا إِلَى سَعَادَتِهَا الَّتِي خُلِقَتْ لَهَا وَالمَالُ حِجَابٌ عَنْهَا وَبَيْنَهَا.

[١١] الحَادِي عَشَرَ:

أَنَّ غِنَى العِلْمِ أَجَلُّ مِنْ غِنَى المَالِ؛ فَإِنَّ غِنَى المَالِ غِنًى بِأَمْرٍ خَارِجِيٍّ عَنْ حَقِيقَةِ الإِنْسَانِ، لَوْ ذَهَبَ فِي لَيْلَةٍ أَصْبَحَ فَقِيرًا مُعْدِمًا .

[١٢] الثَّانِي عَشَرَ:

أَنَّ المَالَ يَسْتَعْبِدُ مُحِبَّهُ وَصَاحِبَهُ، فَيَجْعَلُهُ عَبْدًا لَهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ... » الحَدِيثُ، وَالعِلْمُ يَسْتَعْبِدُهُ لِرَبِّهِ وَخَالِقِهِ، فَهُوَ لَا يَدْعُوهُ إِلَّا إِلَى عُبُودِيَّةِ اللهِ وَحْدَهُ.

[١٣] الثَّالِثُ عَشَرَ:

أَنَّ حُبَّ العِلْمِ وَطَلَبَهُ أَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ، وَحُبَّ الدُّنْيَا وَالمَالِ وَطَلَبَهُ أَصْلُ كُلِّ سَيِّئَةٍ.

[١٤] الرَّابِعُ عَشَرَ:

أَنَّ قِيمَةَ الغَنِيِّ مَالُهُ، وَقِيمَةَ العَالِمِ عِلْمُهُ، فَهَذَا مُتَقَوِّمٌ بِمَالِهِ، فَإِذَا عُدِمَ مَالُهُ عُدِمَتْ قِيمَتُهُ فَبَقِيَ بِلَا قِيمَةٍ.

وَالعَالِمُ لَا تَزُولُ قِيمَتُهُ، بَلْ هِيَ فِي تَضَاعُفٍ وَزِيَادَةٍ دَائِمًا.

[١٥] الخَامِسَ عَشَرَ:

أَنَّ جَوْهَرَ المَالِ مِنْ جِنْسِ جَوْهَرِ البَدَنِ

وَجَوْهَرُ العِلْمِ مِنْ جِنْسِ جَوْهَرِ الرُّوحِ.

كَمَا قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ. اهـ

وَالفَرْقُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ كَالفَرْقِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالبَدَنِ.

[١٦] السَّادِسُ عَشَرَ:

أَنَّ العَالِمَ لَوْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِحَظِّهِ مِنَ العِلْمِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَمْ يَرْضَهَا عِوَضًا مِنْ عِلْمِهِ.

وَالغَنِيُّ العَاقِلُ إِذَا رَأَى شَرَفَ العَالِمِ وَفَضْلَهُ وَابْتِهَاجَهُ بِالعِلْمِ وَكَمَالَهُ بِهِ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ لَهُ عِلْمَهُ بِغِنَاهُ أَجْمَعَ.

[١٧] السَّابِعُ عَشَرَ:

أَنَّ مَا أَطَاعَ اللهَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا بِالعِلْمِ، وَعَامَّةُ مَنْ يَعْصِيهِ إِنَّمَا يَعْصِيهِ بِالمَالِ.

[١٨] الثَّامِنُ عَشَرَ:

أَنَّ العَالِمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللهِ بِعِلْمِهِ وَحَالِهِ.

وَجَامِعُ المَالِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الدُّنْيَا بِحَالِهِ وَمَالِهِ.

[١٩] التَّاسِعُ عَشَرَ:

أَنَّ غِنَى المَالِ قَدْ يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِ صَاحِبِهِ كَثِيرًا؛ فَإِنَّهُ مَعْشُوقُ النُّفُوسِ، فَإِذَا رَأَتْ مَنْ يَسْتَأْثِرُ بِمَعْشُوقِهَا عَلَيْهَا سَعَتْ فِي هَلَاكِهِ، كَمَا هُوَ الوَاقِعُ.

وَأَمَّا غِنَى العِلْمِ فَسَبَبُ حَيَاةِ الرَّجُلِ وَحَيَاةِ غَيْرِهِ بِهِ، وَالنَّاسُ إِذَا رَأَوْا مَنْ يَسْتَأْثِرُ عَلَيْهِمْ بِهِ وَيَطْلُبُهُ أَحَبُّوهُ وَخَدَمُوهُ وَأَكْرَمُوهُ.

[٢٠] العِشْرُونَ:

أَنَّ اللَّذَّةَ الحَاصِلَةَ مِنْ غِنَى المَالِ إِمَّا لَذَّةٌ وَهْمِيَّةٌ وَإِمَّا لَذَّةٌ بَهِيمِيَّةٌ.

فَإِنَّ صَاحِبَهُ إِنِ التَذَّ بِنَفْسِ جَمْعِهِ وَتَحْصِيلِهِ فَتِلْكَ لَذَّةٌ وَهْمِيَّةٌ خَيَالِيَّةٌ وَإِنِ التَذَّ بِإِنْفَاقِهِ فِي شَهَوَاتِهِ فَهِيَ لَذَّةٌ بَهِيمِيَّةٌ.

وَأَمَّا لَذَّةُ العِلْمِ فَلَذَّةٌ عَقْلِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ، وَهِيَ تُشْبِهُ لَذَّةَ المَلَائِكَةِ وَبَهْجَتَهَا.

وَفَرْقٌ مَا بَيْنَ اللَّذَّتَيْنِ.

[٢١] الحَادِي وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ عُقَلَاءَ الأُمَمِ مُطْبِقُونَ عَلَى ذَمِّ الشَّرِهِ فِي جَمْعِ المَالِ الحَرِيصِ عَلَيْهِ، وَتَنَقُّصِهِ وَالإِزْرَاءِ بِهِ.

وَمُطْبِقُونَ عَلَى تَعْظِيمِ الشَّرِهِ فِي جَمْعِ العِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، وَمَدْحِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَرُؤْيَتِهِ بِعَيْنِ الكَمَالِ.

[٢٢] الثَّانِي وَالعِشْرُونَ:

أَنَّهُمْ مُطْبِقُونَ عَلَى تَعْظِيمِ الزَّاهِدِ فِي المَالِ، المُعْرِضِ عَنْ جَمْعِهِ، الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَجْعَلُ قَلْبَهُ عَبْدًا لَهُ.

وَمُطْبِقُونَ عَلَى ذَمِّ الزَّاهِدِ فِي العِلْمِ، الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَحْرِصُ عَلَيْهِ.

[٢٣] الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ المَالَ إِنَّمَا يُمْدَحُ صَاحِبُهُ بِتَخَلِّيهِ مِنْهُ وَإِخْرَاجِهِ.

وَالعِلْمُ إِنَّمَا يُمْدَحُ بِتَحَلِّيهِ بِهِ وَاتِّصَافِهِ بِهِ.

[٢٤] الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ غِنَى المَالِ مَقْرُونٌ بِالخَوْفِ وَالحُزْنِ، فَهُوَ حَزِينٌ قَبْلَ حُصُولِهِ، خَائِفٌ بَعْدَ حُصُولِهِ، وَكُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ كَانَ الخَوْفُ أَقْوَى.

وَغِنَى العِلْمِ مَقْرُونٌ بِالأَمْنِ وَالفَرَحِ وَالسُّرُورِ.

[٢٥] الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ الغَنِيَّ بِمَالِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُفَارِقَهُ غِنَاهُ، فَيَتَعَذَّبَ وَيَتَأَلَّمَ بِمُفَارَقَتِهِ، وَالغِنَى بِالعِلْمِ لَا يَزُولُ، فَلَا يَتَعَذَّبُ صَاحِبُهُ وَلَا يَتَأَلَّمُ؛ فَلَذَّةُ الغِنَى بِالمَالِ لَذَّةٌ زَائِلَةٌ مُنْقَطِعَةٌ يَعْقُبُهَا الأَلَمُ، وَلَذَّةُ الغِنَى بِالعِلْمِ لَذَّةٌ بَاقِيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ لَا يَلْحَقُهَا أَلَمٌ.

[٢٦] السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ اسْتِلْذَاذَ النَّفْسِ وَكَمَالَهَا بِالغِنَى اسْتِكْمَالٌ بِعَارِيَّةٍ مُؤَدَّاةٍ، فَتَجَمُّلُهَا بِالمَالِ تَجَمُّلٌ بِثَوْبٍ مُسْتَعَارٍ لَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَالِكِهِ يَوْمًا مَا.

وَأَمَّا تَجَمُّلُهَا بِالعِلْمِ وَكَمَالُهَا بِهِ فَتَجَمُّلٌ بِصِفَةٍ ثَابِتَةٍ لَهَا رَاسِخَةٍ فِيهَا لَا

تُفَارِقُهَا.

[٢٧] السَّابِعُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ الغِنَى بِالمَالِ هُوَ عَيْنُ فَقْرِ النَّفْسِ، **وَالغِنَى بِالعِلْمِ هُوَ غِنَاهَا الحَقِيقِيُّ**؛ فَغِنَاهَا بِعِلْمِهَا هُوَ الغِنَى، وَغِنَاهَا بِمَالِهَا هُوَ الفَقْرُ.

[٢٨] الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ مَنْ قُدِّمَ وَأُكْرِمَ لِمَالِهِ إِذَا زَالَ مَالُهُ ذَهَبَ تَقْدِيمُهُ وَإِكْرَامُهُ.

وَمَنْ قُدِّمَ وَأُكْرِمَ لِعِلْمِهِ فَإِنَّهُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَقْدِيمًا وَإِكْرَامًا.

[٢٩] التَّاسِعُ وَالعِشْرُونَ:

أَنَّ تَقْدِيمَ الرَّجُلِ لِمَالِهِ هُوَ عَيْنُ ذَمِّهِ؛ فَإِنَّهُ نِدَاءٌ عَلَيْهِ بِنَقْصِهِ، وَأَنَّهُ لَوْلَا مَالُهُ لَكَانَ مُسْتَحِقًّا لِلتَّأْخِيرِ وَالإِهَانَةِ.

وَأَمَّا تَقْدِيمُهُ وَإِكْرَامُهُ لِعِلْمِهِ فَإِنَّهُ عَيْنُ كَمَالِهِ؛ إِذْ هُوَ تَقْدِيمٌ لَهُ بِنَفْسِهِ وَبِصِفَتِهِ القَائِمَةِ بِهِ، لَا بِأَمْرٍ خَارِجٍ عَنْ ذَاتِهِ.

[٣٠] الوَجْهُ الثَّلَاثُونَ:

أَنَّ طَالِبَ الكَمَالِ بِغِنَى المَالِ كَالجَامِعِ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ؛ فَهُوَ طَالِبٌ مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَيْهِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ القُدْرَةَ صِفَةُ كَمَالٍ، وَصِفَةُ الكَمَالِ مَحْبُوبَةٌ بِالذَّاتِ.

وَالاسْتِغْنَاءُ عَنِ الغَيْرِ ـ أَيْضًا ـ صِفَةُ كَمَالٍ مَحْبُوبَةٌ بِالذَّاتِ، فَإِذَا مَالَ الرَّجُلُ بِطَبْعِهِ إِلَى السَّخَاوَةِ وَالجُودِ وَفِعْلِ المَكْرُمَاتِ، فَهَذَا كَمَالٌ مَطْلُوبٌ لِلْعُقَلَاءِ، مَحْبُوبٌ لِلنُّفُوسِ، وَإِذَا التَفَتَ إِلَى أَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي خُرُوجَ المَالِ مِنْ يَدِهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ نَقْصَهُ وَاحْتِيَاجَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَزَوَالَ قُدْرَتِهِ نَفَرَتْ نَفْسُهُ عَنِ السَّخَاءِ وَالكَرَمِ وَالجُودِ وَاصْطِنَاعِ المَعْرُوفِ، وَظَنَّ أَنَّ كَمَالَهُ فِي إِمْسَاكِ المَالِ.

وَهَذِهِ البَلِيَّةُ أَمْرٌ ثَابِتٌ لِعَامَّةِ الخَلْقِ، لَا يَنْفَكُّونَ عَنْهَا. .....

[٣١] الحَادِي وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ اللَّذَّةَ الحَاصِلَةَ مِنَ المَالِ وَالغِنَى إِنَّمَا هِيَ حَالَ تَجَدُّدِهِ فَقَطْ، وَأَمَّا حَالَ دَوَامِهِ: فَإِمَّا أَنْ تَذْهَبَ تِلْكَ اللَّذَّةُ، وَإِمَّا أَنْ تَنْقُصَ.

[٣٢] الثَّانِي وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ غِنَى المَالِ يَسْتَدْعِي الإِنْعَامَ عَلَى النَّاسِ وَالإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ؛ فَصَاحِبُهُ إِمَّا أَنْ يَسُدَّ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا البَابَ، وَإِمَّا أَنْ يَفْتَحَهُ عَلَيْهِ.

[٣٣] الوَجْهُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ جَمْعَ المَالِ مَقْرُونٌ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الآفَاتِ وَالمِحَنِ: نَوْعٌ قَبْلَهُ، وَنَوْعٌ عِنْدَ حُصُولِهِ، وَنَوْعٌ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ.

ـ **فَأَمَّا النَّوْعُ الأَوَّلُ**: فَهُوَ المَشَاقُّ وَالأَنْكَادُ وَالآلَامُ الَّتِي لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَا.

ـ **وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي**: فَمَشَقَّةُ حِفْظِهِ وَحِرَاسَتِهِ وَتَعَلُّقِ القَلْبِ بِهِ، فَلَا يُصْبِحُ إِلَّا

مَهْمُومًا، وَلَا يُمْسِي إِلَّا مَغْمُومًا.

ـ **وَالنَّوْعُ الثَّالِثُ مِنْ آفَاتِ الغِنَى**: مَا يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ مِنْ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِهِ، وَكَوْنِهِ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَالمُطَالَبَةِ بِحُقُوقِهِ، وَالمُحَاسَبَةِ عَلَى مَقْبُوضِهِ وَمَصْرُوفِهِ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِي مَاذَا أَنْفَقَهُ؟

وَغِنَى العِلْمِ وَالإِيمَانِ مَعَ سَلَامَتِهِ مِنْ هَذِهِ الآفَاتِ فَهُوَ كَفِيلٌ بِكُلِّ لَذَّةٍ وَفَرْحَةٍ وَسُرُورٍ، وَلَكِنْ لَا يُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ وَالصَّبْرِ وَالمَشَقَّةِ.

[٣٤] الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ لَذَّةَ الغَنِيِّ بِالمَالِ مَقْرُونَةٌ بِخُلْطَةِ النَّاسِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا خَدَمُهُ وَأَزْوَاجُهُ وَسَرَارِيهُ وَأَتْبَاعُهُ؛ إِذْ لَوِ انْفَرَدَ الغَنِيُّ بِمَالِهِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِخَادِمٍ أَوْ زَوْجَةٍ أَوْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَكْمُلِ انْتِفَاعُهُ بِمَالِهِ، وَلَا التِّذَاذُهُ بِهِ.

[٣٥] الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ المَالَ لَا يُرَادُ لِذَاتِهِ وَعَيْنِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ بِذَاتِهِ شَيْءٌ مِنَ المَنَافِعِ أَصْلًا؛ فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُ وَلَا يُرْوِي، وَلَا يُدْفِئُ وَلَا يُمْتِعُ، وَإِنَّمَا يُرَادُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ طَرِيقًا إِلَيْهَا أُرِيدَ إِرَادَةَ الوَسَائِلِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الغَايَاتِ أَشْرَفُ مِنَ الوَسَائِلِ؛ فَهَذِهِ الغَايَاتُ إِذًا أَشْرَفُ مِنْهُ، وَهِيَ مَعَ شَرَفِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ نَاقِصَةٌ دَنِيَّةٌ.

[٣٦] السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ غَنِيَّ المَالِ يَبْغَضُ المَوْتَ وَلِقَاءَ اللهِ؛ فَإِنَّهُ لِحُبِّهِ مَالَهُ يَكْرَهُ مُفَارَقَتَهُ وَيُحِبُّ بَقَاءَهُ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ، كَمَا يَشْهَدُ بِهِ الوَاقِعُ.

وَأَمَّا العِلْمُ، فَإِنَّهُ يُحَبِّبُ لِلْعَبْدِ لِقَاءَ رَبِّهِ، وَيُزَهِّدُهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ النَّكِدَةِ الفَانِيَةِ.

[٣٧] السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ الأَغْنِيَاءَ يَمُوتُ ذِكْرُهُمْ بِمَوْتِهِمْ.

وَالعُلَمَاءُ يَمُوتُونَ وَيَحْيَا ذِكْرُهُمْ؛ كَمَا قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الحَدِيثِ: مَاتَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ. اهـ

فَخُزَّانُ الأَمْوَالِ أَحْيَاءٌ كَأَمْوَاتٍ، وَالعُلَمَاءُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَمْوَاتٌ كَأَحْيَاءٍ.

[٣٨] الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ نِسْبَةَ العِلْمِ إِلَى الرُّوحِ كَنِسْبَةِ الرُّوحِ إِلَى البَدَنِ؛ فَالرُّوحُ مَيِّتَةٌ حَيَاتُهَا بِالعِلْمِ، كَمَا أَنَّ الجَسَدَ مَيِّتٌ حَيَاتُهُ بِالرُّوحِ

فَالغِنَى بِالمَالِ غَايَتُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي حَيَاةِ البَدَنِ، وَأَمَّا العِلْمُ فَهُوَ حَيَاةُ القُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ، كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ.

[٣٩] التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ:

أَنَّ القَلْبَ مَلِكُ البَدَنِ، وَالعِلْمَ زِينَتُهُ وَعُدَّتُهُ وَمَالُهُ، وَبِهِ قِوَامُ مُلْكِهِ، وَالمَلِكُ لَا بُدَّ

لَهُ مِنْ عَدٍ وَعُدَّةٍ وَمَالٍ وَزِينَةٍ؛ فَالعِلْمُ هُوَ مَرْكَبُهُ وَعُدَّتُهُ وَجَمَالُهُ

[٤٠] الوَجْهُ الأَرْبَعُونَ:

أَنَّ القَدْرَ المَقْصُودَ مِنَ المَالِ هُوَ مَا يَكْفِي العَبْدَ وَيُقِيمُهُ وَيَدْفَعُ ضَرُورَتَهُ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ قَضَاءِ جَهَازِهِ، وَمِنَ التَّزَوُّدِ لِسَفَرِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ شَغَلَهُ وَقَطَعَهُ عَنِ السَّفَرِ إِلَى رَبِّهِ وَعَنْ قَضَاءِ جَهَازِهِ وَتَعْبِيَةِ زَادِهِ؛ فَكَانَ ضَرَرُهُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ، وَكُلَّمَا ازْدَادَ غِنَاهُ بِهِ ازْدَادَ تَثَبُّطًا وَتَخَلُّفًا عَنِ التَّجَهُّزِ لِمَا أَمَامَهُ.

وَأَمَّا العِلْمُ النَّافِعُ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ مِنْهُ ازْدَادَ فِي تَعْبِيَةِ الزَّادِ، وَقَضَاءِ الجَهَازِ، وَإِعْدَادِ عُدَّةِ المَسِيرِ، وَاللهُ المُوَفِّقُ وَبِهِ الِاسْتِعَانَةُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ.

"مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ" (١/ ٣٦٤-٣٨٤).

هَذَّبَهُ وَلَخَّصَهُ وَاخْتَصَرَهُ :

أَبُو سُلَيْمَانَ سَلْمَانُ بْنُ صَالِحٍ العُمَادُ

٢٩/ جُمَادَى الأُولَى / ١٤٤٦/ مَسْجِدُ دُرَّةِ عَدَنٍ – مَدِينَةُ عَدَنٍ حَرَسَهَا اللهُ .

فهرس :

المحتويات

المقدمة ٣
عملي في الكتاب ٤
ترجمة ٦
منزلة مفتاح دار السعادة ٩
تمهيد ١١
أوجه فضل العلم ١٦
فضل العلم على المال ٧٤

مع تحيات
تنسيق الفخامة
لتنسيق وكتابة وتفريغ وتعديل
الكتب السلفية والبحوث والرسائل العلمية
للتواصل عبر الواتساب +967 776160675